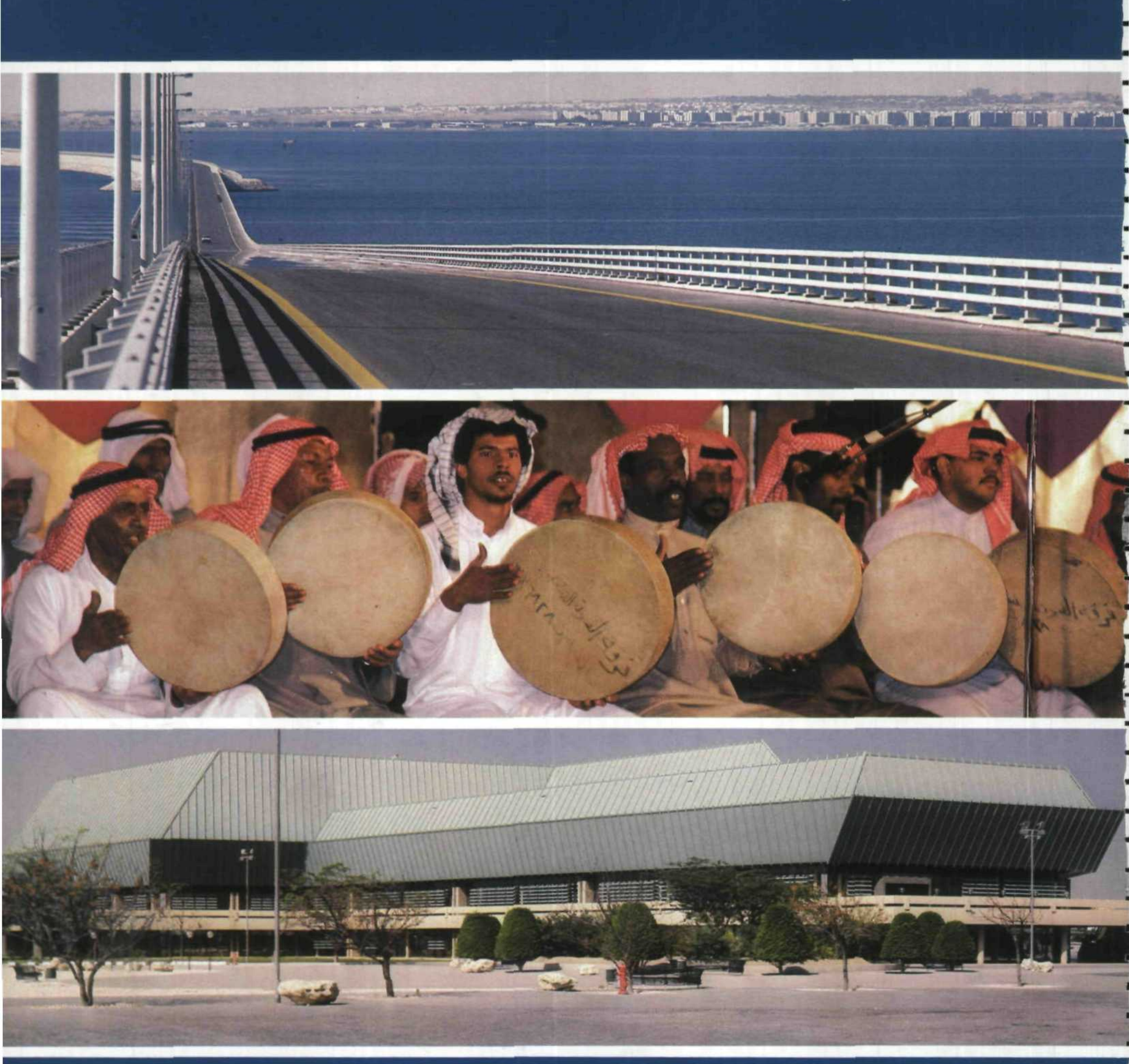
القافلة

جمادى الأولى ١٤٠٧هـ/ يناير ١٩٨٧م



الدمام - الخبر - الظهران - التوائم الثلاثة

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

THE CARAVAN JAN. 1987

جمادى الأولى ١٤٠٧هـ/ يناير ١٩٨٧م

العدد الخامس/ المجلد الخامس والثلاثون

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

توزع مجاناً

المدير العام: فيصل محمد البسام

المدير المسؤول: اسماعيل ابراهيم نواب

رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي

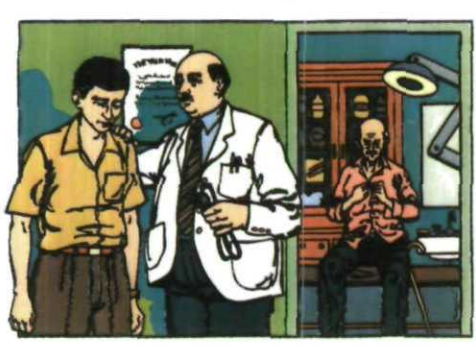
المحرر المساعد: عوني أبوكشك



هجرة الطيور...



الدمام - الخبر - الظهران.. التوائم الثلاثة





جدي والحتمية

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في "القافلة" يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز اعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية

طباعة شركة مطابع المطوع - الدمام - المملكة العربية السعودية
Printed by Al-Mutawa Press Co., Dammam, Saudi Arabia

رسول الله ﷺ .. ورسالته في القرآن

بقلم: د. أحمد جمال العمري / جدة

جرت سنة الله تعالى في خلقه، ان يبعث رسله حين تشتد حاجة البشرية اليهم، وحين يضل الناس عن سبيل الله، وعن صراطه المستقيم، الذي يصلهم بربهم، ويعرفهم بما ينجيهم في دنياهم وأخراهم.. فإنهم لا يهتدون الى ما يفيدهم فيها، وهي مغيبة عنها الا برسول، كما لا يهتدون في الدنيا الى ما ينجيهم من سمومها الا بطبيب.

وجريا على هذه السنة، أرسل الحق سبحانه رسوله محمد، ﷺ، الى العالم كله، والى الناس كافة، بعد أن فسدوا وضلّوا، واختلفوا وتقاطعوا وتخاصموا. وبعد أن اشتدت الحاجة الى رسالة تصلح العقائد، وتداوي النفوس، وتؤلف بين القلوب، وتربط الناس بعضهم ببعض، وتوجههم جميعا في وحدة منسجمة متآلفة الى بارئهم، وخالقهم، ليقوموا بواجب الشكر له على ما أنعم به عليهم، وأسداه اليهم، وما أرسل به رسوله من عقائد صافية، وعبادات هادية، ومعاملات حكيمة، وأخلاق كريمة، وتشاريع قويمة، تقوم على أساس من الحق والخير والفضيلة.

ومنذ بداية البعثة المحمدية.. التزم القرآن العظيم بالتحدث عن شخصية هذا الرسول، المبعوث رحمة للعالمين، والتعريف به، وبمهمته، وبرسالته، حتى لقد كان الرسول جزءا لا يتجزأ من الرسالة، والرسالة صورة ناصعة لما أهل الله به رسوله النبي الأمي ﷺ.

ارتبط التعريف برسول الله، صلى الله عليه وسلم، بأمور:

- أولا بنوعية القوم الذين يتحدث اليهم القرآن.
- ثانيا بموقفهم من دعوته، ومبلغ تصديقهم او تكذيبهم برسالته.
- ثالثا بمبلغ ما يذيعونه ويفترونه لتشويه الدعوة، وإثارة الشكوك في نفوس الناس.

فنقطة البداية.. التعريف بالرسول في نطاق الصراع العقيدي مع القوم الذين بعث اليهم، وهم أبناء عشيرته الأقربون. لذلك جاء التعريف ليس لمجرد الذكر، وإنما لهدف أسمى وهو: تأييد الدعوة، وتأكيد الرسالة.. وإظهار الحجة.

﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**﴾ (التوبة ١٢٨). فالآية الكريمة تقرب الرسول محمدا من المخاطبين، فتقول انه من أنفسكم، ثم تجمع بينه وبينهم في هذا الجانب العاطفي، من أنه يخشى عليكم العنت، ويحرص عليكم، ويرأف بالمؤمنين برسالته الجديدة ويرحمهم. وهذه السمات المميزة لا تراد لذاتها —كما هو واضح— ولكنها لتمكين الدعوة من نفوس المخاطبين.

ويقدم القرآن صورة واضحة عن مهمته ورسالته:

﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾ (الجمعة/٢).

ان رسول الله، ﷺ، من الأميين أنفسهم، ميزته أنه يتلو عليهم آيات الله، ويزكيهم ويعلمهم القرآن والسنة، لأنهم كانوا في ضلال.

ويزيد القرآن في توضيح صورة هذا النبي وتحديد شخصيته:

﴿**الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكراً، رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبيّنات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور**﴾ (الطلاق ١٠، ١١)

ثم يوضح القرآن الكريم الصورة أكثر وأكثر، بتسليط الضوء على المؤمنين الذين معه حتى يكونوا المثل للذين يوجه اليهم الدعوة..

﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود..**﴾ (الفتح ٢٩)

فالرسالة التي يحملها محمد، رسول الله، تنوير للقلوب، وتربية للنفوس، والمؤمنون مع محمد، ﷺ، يعبدون الله بالصلاة، ولكنهم مع الكفار تجدهم أشداء عليهم، ورحماء مع المؤمنين، أشداء في الحق، رحماء في العلاقة الانسانية بينهم وبين من تجمعهم بهم وحدة العقيدة..

فصورة المؤمنين، كما يرسمها القرآن، صورة مستمدة من النبي، ﷺ، باعتباره رسول الله.

ومن زيادة التعريف بالرسول محمد، والتكريم له، أن الله جعله شاهدا على أمته، وهذه مهمة كبرى حمَّلها الحق سبحانه لرسوله..

﴿**إنَّا أرسلنا اليكم رسولاً شاهداً عليكم**﴾ (المزمل ١٥).

ويؤكد ذلك أنه جعل شهادته على أمته هي شهادة على الناس. ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾ (البقرة ١٤٣). ﴿**هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس**﴾ (الحج ٧٨).

هذه الصورة الواضحة لشخصية محمد كانسان وكرسول يحمل رسالة من عند الله، تزداد وضوحا في الصراع الذي صوره القرآن بينه، ﷺ، وبين الكافرين والمشركين والمنافقين. هذا الصراع الذي وضح فيه جانب التشكيك.. إما بالكذب، أو بمحاولة التعجيز، أو التنكر لانسانيته، تمهيدا للتنكر لرسالته.

لقد بلغ العجب بأهل مكة أنهم يفكرون في فرض اختيارهم على الله، حتى أنهم ليتساءلون: لماذا لم ينزل القرآن على رجل عظيم؟. فأجابهم القرآن، وهو يصور هذه الوضعية. ويعرف بمكانته، ﷺ:

﴿**بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين، ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنَّا به كافرون، وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، أهم يقسمون رحمت ربك؟**﴾ (الزخرف ٢٩ — ٣٢).

في سياق الاحتجاج عليهم بأنهم لا يقسمون رحمة الله، وليس من حقهم أن يختاروا على الله أين يضع رسالته، يعرِّف محمداً بأنه «رسول مبين»، وليس من عظماء مكة أو الطائف، كما يعرفونهم العظماء.

والمكيون، كما سجل القرآن، كانوا شديدي العداوة لدين محمد، وشديدي الجدل الذي يبعد كثيرا عن المنطق، وفي هاته الصورة التي يحكيها القرآن عنهم، وعن مجابهتهم، والفكرة التي يتصورونها عن النبوة، بل الإغراق في الجدل، ومحاولة التعجيز.. وفي هذه الصورة ما ينبيء بما كان النبي يلقاه منهم حينما كانوا يريدون أن يخرجوه عن طبيعته، فلا يريدون أن يقبلوا منه دعوة رسول، ولكن يريدون أن يروه في صورة أخرى لا تستند الى الطبيعة البشرية: ﴿**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب، فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً. أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً. او يكون لك بيت من زخرف. أو ترقى في السماء. ولن نؤمن لرقيك حتى تُنزِّل علينا كتابا نقرؤه. قل: سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولاً**﴾ (الاسراء ٩٠ — ٩٣).

إنهم يريدون من رسول الله أشياء تخرجه عن نطاق بشريته.. يريدون منه أن يفجر الأرض، وأن تكون له جنات من النخيل والعنب، تجري حولها الأنهار، وذلك أقصى ما يصل اليه خيالهم من التعجيز لأنهم يفتقدون الماء. وكل المعجزات التي يتصورونها إنما تنحصر في تفجير الينابيع، وفي جنات النخيل والأعناب التي تجري من حولها الأنهار. وهي صورة أبلغ ما تكون في قصر النظر، وفي ربط الدعوة الفكرية بالمصالح المادية، التي تطمح اليها نفوسهم.

ثم يذهب بهم التعجيز أن يتحدُّوه في أن تنفذ فيهم الآية، التي يقول فيها الله تعالى: ﴿**إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء**﴾. (سبأ ٩).

بل يتحدونه في أن يأتي بالله والملائكة ليشهدوا بصحة ما يقول. ويختلط التحدِّي بالرغبة في الحصول على مباذل الدنيا: ﴿**أو يكون لك بيت من زخرف**﴾.

ثم تتطور الفكرة فيتحدُّونه أن يرقى في السماء. ولكن القرآن العظيم يسخف هذه التحدِّيات، فيعرف بالرسول في كلمات معدودات تزرى بكل هذا الذي يطلبونه ويتحدُّون به. ﴿**قل: سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولاً؟**﴾.

وهم يستنكرون من الرسول أن يكون بشرا يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق: ﴿**وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق**﴾. (الفرقان ٧). بل يرجون فيه بعقلية التحدِّي المعروفة عنهم أن ينزل ﴿**لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيراً، أو يلقى اليه كنز.. أو تكون له جنة يأكل منها. وقال الظالمون إن تتَّبعون إلا رجلاً مسحوراً، انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا**﴾ (الفرقان ٧ — ٩).

وهم لم يطلبوا ذلك تعظما لأمر رسالته، وإنما هو نوع من التحدِّي والسخرية، كما هو واضح من التعبير القرآني.

ولعل يفضح القرآن كل هذه التحدِّيات السخيفة الا ليؤكد بشرية الرسول، ولينفي عن الرسالة الالهية كل بعد عن النطاق البشري، فلا الملائكة يمكن أن يكونوا رسلا الى جميع البشر، ولا الرسول، مفضل على بني قومه بالكنوز والجنان، ولا الرسالة الالهية تحتمل السحر أو تفجير الأرض بالينابيع أو غيرها من الأعمال التي تخرج عن طاقة البشر.

فإثبات بشرية الرسول، ﷺ، من الأهداف التي توخاها القرآن. والقرآن اذ يؤكد على بشرية محمد، صلى الله عليه وسلم، فانه يرمي من وراء ذلك الا يقع المسلمون مرة أخرى فيما سقط فيه النصارى، حين ألهوا المسيح عيسى بن مريم، واعتبروه تارة هو الله، وتارة ابن الله. ولهذا ورد في القرآن التأكيد القاطع على بشرية رسول الله، وأنه يجري عليه ما يجري على سائر البشر.

والى جانب المشركين.. كان هناك أهل الكتاب، الذين يعارضون رسول الله، ﷺ، بكل أساليب المعارضة. وقد اتجه القرآن الى أقوى دليل يؤكد خطأهم، حينما يعارضون ويتحدُّون وجود رسول لله رغم أنه مذكور عندهم في التوراة والانجيل. بيد أن تحريفهم لهذين الكتابين هو الذي أبعدهم عن روح الكتابين السماويين، وهو الذي جعلهم لا يصدقون رسول الله، ﷺ، ولا يدينون بدينه الجديد. يقول القرآن الكريم: ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون، الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم..**﴾ (الاعراف ١٥٦ — ١٥٧).

فرسول الله، النبي الأمي، لم يأت على غير موعد، وخاصة عند الذين كانوا يدينون بشريعة سماوية أخرى نزل بها كتاب، فقد تحدثت عن مجيئه التوراة والانجيل، ثم هو قد جاء ليطهر الانسانية، ومنها اليهود والنصارى، من كل منكر، فيحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث التي ابتدعوها ونسبوا بعضا منها الى الدين، كما هو معروف عن السيئات التي يرتكبها اليهود وينسبونها الى الدين، والدين منها براء. ثم هو يحللهم من الاصر والأغلال التي ربطوا أنفسهم بها اعتقادا منهم أنها من الدين، وما هي من الدين في شيء.

ويؤكد القرآن العظيم ان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على النبيين والمرسلين، أنهم يؤمنون برسوله محمد، ﷺ، حينما يبعث مصدقا لما معهم من دعوة وكتب سماوية:

﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري. قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**﴾ (آل عمران ٨١).

فرسالة رسول الله، ودعوته، صلى الله عليه وسلم، لم تبلغ فقط الى أهل الكتاب في عصره، ولكنها قبل ذلك أخذت ميثاقا على النبيين أن يصدقوه، ويؤمنوا به، وينصروه، وقد أخذت بالتالي على اتباع هؤلاء الأنبياء، ولن يكون هؤلاء يهودا حقا، ولا نصارى حقا حتى يؤمنوا برسول الله، لأن أنبياءهم آمنوا به، وتعهدوا بتصديقه ونصرته، وأخذوا بذلك عهدا لله على أنفسهم، فأشهدهم الله على عهدهم وكان الله معهم من الشاهدين. فكيف يجوز بعد هذا أن يتنكر اليهود والنصارى لرسول الله، ﷺ، ويناصبوه العداء،

وهم يزعمون أنهم متمسكون بالتوراة والانجيل متبعون لموسى وعيسى عليهما السلام؟

وقد كانوا يزعمون، هم والمشركون، أنهم لن ينفكوا عن عقيدتهم الى أن تأتيهم البينة، وهي النبي الموعود في التوراة والانجيل. ولكنهم لم يلتزموا بهذا الوعد، وهذا ما فضحه القرآن..

﴿**لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البيِّنة، رسول من الله يتلو صحفا مطهرة، فيها كتاب قيمة، وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة**﴾ (البيِّنة ١ — ٤).

في هذه الآيات رد للتحدي، وابراز لشخصية الرسول ورسالته، واضفاء الصورة الحقيقية على العلاقة بين رسول الله ورسالته، وبين أهل الكتاب.

هذا هو رسول الله النبي الأمي، وهذه هي شخصيته كما رسمها القرآن في مواجهتها لخصوم رسالته، المشركين منهم وأهل الكتاب.

فما هي الرسالة؟

إن الرسالة السماوية التي كلف بها رسول الله، هي أن يربط بين الناس وإله الناس عن طريق العقيدة الصحيحة، والعبادة الخالصة، ودعوتهم الى الايمان بالله وحده، واخلاص العبادة له.

إن الرسالة السماوية التي كلف بها رسول الله ان يكون مبلغا وهاديا ورائدا ومبشرا. ولم تكن طبيعة هذه الرسالة لتخرجه عن كونه بشرا، ولا ترفعه الى مقام الالوهية، وانما هي رسالة من عند الله — اذا اكتسب صاحبها سمو المكانة، والثقة المثلى من الله، فليس ذلك بمخرجه عن طبيعته وبشريته.

ثم انها تكليف محدود، فليس من طبيعة الرسالة أن يكون صاحبها مسئولا عن النجاح فيها، بل ان الله ليأمره أن يتقدم الى من يوجِّه اليهم رسالته بأن يؤمنوا بهذه الرسالة، أو لا يؤمنوا، لأن الله غني عن العالمين، وإيمانهم مصلحة لهم، وكفرهم به خسارة عقيدية وروحية ونفسية لهم.

فرسالة رسول الله.. تبليغ للقرآن، ودعوة لهداية، وتبشير وقيادة وريادة.. يحدد القرآن كل ذلك:

﴿**وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لتهدي الى صراطٍ مستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا الى الله تصير الأمور**﴾ (الشورى ٥٢ — ٥٣).

فالوحي روح من أمر الله، وتعليم للكتاب، ونور وهداية، وتوجيه لهداية الآخرين، ورسالته وضحت في كتاب يقرأ، يحمله الرسول، ويقرأه على الناس، ويبلغهم دعوته وتعاليمه.

﴿**وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشراً ونذيراً. وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكثٍ ونزلناه تنزيلا**﴾ (الاسراء ١٠٥ — ١٠٦).

ويزيد القرآن في تعريف هذه الرسالة القرآنية، وهو يرد على الذين زعموا أن محمداً، ﷺ، مجرد شاعر أو كاهن أو ساحر، ويؤكد المعنى الحقيقي لرسالة رسول الله.

﴿**فلا أقسم بما تبصرون. وما لا تبصرون. إنه لقول رسولٍ كريم. وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون. ولا بقول كاهنٍ قليلا ما تذكَّرون. تنزيلٌ من رب العالمين**﴾ (الحاقة ٣٨ — ٤٥).

معنى الرسالة اذن — أنها روح من أمر الله، ثم قرآن نزل بالحق، يتلى من عند الله. ولكن القرآن لم ينزل للتلاوة والتبرك، وإنما نزل للهداية، وذلك يعطي معنى آخر للرسالة، يزيد في تحديدها، وأكثر ما يحددها أنها عامة للناس جميعا، للبشر كافة، تبشير وتحذير.. ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيراً**﴾ (سبأ ٢٨). ﴿**يا أيها النبي إنَّا أرسلناك شاهداً ومبشرا ونذيراً. وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً. وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً.**﴾ (الأحزاب ٤٥ — ٤٧).

والرسالة ليست قرآنا يتلى فحسب، ولا تبشيرا ونذيرا فحسب، ولكنها توجيه دعوة الى الايمان، وتعليم للايمان والدين والسلوك والخلق القويم. ﴿**كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون**﴾ (البقرة ١٥١).

رسالة رسول الله محمد، ﷺ، دعوة للناس كافة. والقرآن يقدم هذه الدعوة، ويقدم محمدا الذي جاء بها: ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً، الذي له ملك السموات والأرض، لا إله إلا هو يحي ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته، واتَّبعوه لعلكم تهتدون**﴾ (الأعراف ١٥٨).

ورسالة الرسول ليست قبلية ولا قومية ولا انعزالية. فما انه بعث ﷺ، للناس كافة، فالايمان برسالته يتطلب الايمان بكل الرسالات السماوية، وبكل الرسل الذين بعثوا قبله، وذلك يعطي طابعا خاصا للرسالة المحمدية..

﴿**آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**﴾ (البقرة ٢٨٥).

من طبيعة الرسالة أنها هداية ولا تتحمل مسئولية الذين لم يهتدوا بعد أن تبين لهم الطريق، وتهديهم سواء السبيل: ﴿**وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين، فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون، قل لا أقول لكم عندي خزائن الله، ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن اتبع ما يوحى اليَّ**﴾ (الأنعام ٤٨ — ٥٠).

هذه الآيات تسلط الأضواء كاملة على معنى الرسالة، ثم علاقة الرسالة بالذين توجه اليهم. انها تبشير وإنذار، ولكنها تترك الحرية لضمير الآخرين. ان شاءوا آمنوا، وان شاءوا لم يؤمنوا — وان شاءوا أصلحوا وعند ذلك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وان شاءوا كذبوا فسيلقون جزاءهم.. ثم تتحدَّى الآية هؤلاء المكذبين لتوضيح جوانب كثيرة من طبيعة الرسالة.. فالنبي لا يملك خزائن الله، وهو لا يعلم الغيب، وليس ملكا، وإنما هو متبع لما يوحى اليه.

الرسول لا يملك غير ذلك، ولهذا أكدت آيات كثيرة الأمر بالتبليغ ثم تنتهي مسؤوليته. ﴿**يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾. (المائدة ٦٧). ﴿**ما على الرسول الا البلاغ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون**﴾ (المائدة ٩٩). ﴿**وان تكذبوا فقد كذَّب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين**﴾ (العنكبوت ١٨).

هذه طبيعة الرسالة التي تحملها الرسول، يبذل كل جهده في تبليغ رسالة ربه، ثم يتركهم وضميرهم بعد أن يوضح لهم طريق الخير، وطريق الشر، وسواء عليه بعد ذلك آمنوا أو لم يؤمنوا، فان الله غني عن العالمين.

هذه هي صورة الرسول، وهذه هي صورة الرسالة. صورة الرسول هي نفسها صورة الرسالة، الرسول لا ينفك عن الرسالة، والرسالة لا تنفصم عن الرسول، اذا تحدث القرآن عن الرسول، قرن الى صورته تعاليم الرسالة، واذا تحدث عن الرسالة شمل الحديث شمائل الرسول..

من هنا قلنا — ان الرسول والرسالة أمران لا ينفصلان، عنصران مترابطان متلازمان، الرسول جزء من الرسالة، والرسالة مرآة تعكس صورة الرسول، وعكس المنهج الالهي الذي وضعه الله لرسوله المصطفى المختار لكي يخاطب البشر، ويهديهم الى صراط العزيز الحميد.

وهكذا كانت مشيئة الله العلي القدير، أن يجعل منهج رسالته الالهية، منهجا عمليا تطبيقيا، فاختار من البشر إنسانا يحمل هذا المنهج الالهي، ويحوله الى حقيقة، لكي يعرف الناس أصول العقيدة، وأنها أحق بالاتباع، فقدم لهم القدوة، وقدم لهم الأسوة، وكان ذلك في بعث الرسول النبي الأمي ﷺ. ووضع الحق سبحانه في شخصه الصورة الكاملة للمنهج الالهي، الصورة الحية للمنهج القرآني الصورة الخالدة على مدار الزمن. فكان الرسول الترجمة الحية لروح القرآن، وحقائق القرآن، وتوجيهات القرآن، ودعوة القرآن، ومن ثم كان كالقرآن قوة كونية عظمى، قوة من صنع الله، تتكامل فيها القوى وتتناسق في محيطها الشامل، وتتألف منها نفس واحدة تجمع كل النفوس، تجمعها في توازن واتساق. ذلك هو محمد بن عبدالله، رسول الله، النبي الأمي، صلى الله عليه وسلم □

تنمية المصادر الطبيعية
منهج وتطبيق

(١)

بقلم: د. صالح علي الشمراني / جامعة أم القرى بمكة المكرمة

مقدمة عامة*

لا أحد يستطيع أن ينكر ما للمصادر الطبيعية من أهمية، خاصة في وقتنا الحاضر. انها تمد الانسان بالمواد الخام الضرورية وتوفر له مكانا يعيش عليه وتشبع رغباته. ان المصادر الطبيعية كالبترول والحديد والفحم، والاراضي الزراعية والمياه، والهواء، والتربة، والغابات والاسماك قد جذبت انتباه الكثير من الباحثين وخاصة منذ بداية القرن العشرين نظرا لما تعاني منه هذه المصادر من مشاكل وخاصة فيما يتعلق باستغلالها والاحساس بان عدد سكان العالم قد أصبح في تزايد باعداد كبيرة جدا تفوق بكثير تزايد انتاج المصادر الطبيعية وخاصة الموارد الزراعية.

* قدم هذا البحث في اللقاء الجغرافي الثاني الذي عقد بقسم الجغرافيا بجامعة الملك سعود بالرياض من ٣ — ٥ شعبان ١٤٠٥هـ.

ان العالم اليوم يعاني كثيرا من تلوث المياه والهواء، وتعرية التربة وقطع الغابات، والجفاف، ونقص الغذاء، واستنزاف المصادر غير المتجددة كالبترول والحديد مما يشير الى ندرتها. كل هذا يعود الى سوء استغلال الموارد الطبيعية وادارتها.

وقد ركزت في بحثي المتواضع هذا على دراسة الموارد الطبيعية: ماهيتها، مجالها ومناهج البحث فيها، وصنفت الموارد الى ثلاث مجموعات هي: الموارد الطبيعية، والموارد البشرية، والموارد الحضارية. ونظرا لاتساع مجال تنمية الموارد فقد تعددت مناهج البحث فيها وامكن التمييز بين أربعة مناهج رئيسية هي:

- المنهج الجغرافي: ويركز على دراسة التوزيع المكاني للموارد.
- المنهج الاقتصادي: ويركز على الجوانب الاقتصادية لتنمية الموارد.
- المنهج السياسي: ويركز على سياسة استغلال الموارد وطرق الحفاظ على البيئة.
- المنهج الحديث لتنمية الموارد: ويركز على ادارة الموارد، وطرق الحفاظ على البيئة، وسياسة استغلال الموارد، واقتصاد الموارد وأثرها على تنمية الأقاليم.

ومن ناحية أخرى، فقد أمكن وضع تصور شامل لبرنامج دراسي جامعي في تنمية الموارد الطبيعية، تتبناه أقسام الجغرافيا أو كليات الزراعة في الجامعات السعودية. وقد اختيرت مفردات هذا البرنامج وحددت المجالات التي يجب التركيز عليها في كل من الآتي:

- ادارة الموارد الطبيعية.
- طرق الحفاظ على البيئة.
- سياسة استغلال الموارد الطبيعية.
- اقتصاد الموارد الطبيعية.
- تنمية الاقاليم والمجتمعات البشرية.

وقد تم اقتراح ثلاث مجموعات من المفردات

الدراسية التي يتوقع انها ستخدم طلاب الدراسات العليا. وهذه المجموعات هي:
- مشكلات في تنمية الموارد الطبيعية.
- قراءات في تنمية الموارد الطبيعية.
- مواضيع خاصة عن الموارد في المملكة العربية السعودية.

تحديد المشكلة

نظرا لما تحمله هذه المشاكل من خطورة على المصادر الطبيعية فقد اتجه الكثير من الباحثين في كثير من دول العالم وخاصة الدول المتقدمة منها الى دراسة الموارد الطبيعية من حيث طبيعتها وتوزيعها الجغرافي وطرق الحفاظ عليها، وتحديد المشاكل التي تعاني منها واخيرا طرق استغلالها. بل ان كثيرا من جامعات العالم قد أولت تنمية المصادر الطبيعية والبشرية جل اهتمامها عن طريق افتتاح الكليات والأقسام المتخصصة في تنمية الموارد الطبيعية والبشرية وأصبحت تمنح فيها الدرجات العلمية العليا.

وحيث أن طبيعة الموارد الطبيعية والبشرية تعتبر مرنة جدا لدرجة انها لا تستلزم ان تكون دراستها والبحث فيها وقفا على فئة من المتخصصين دون اخرى، لذا فقد تعددت مناهج البحث فيها، وهذا ما استدعى أو جلب انتباه الباحث، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فان هذا الفرع من المعرفة يعتبر جديدا اذا لم يكن معدوما في الجامعات العربية علما بأن الدول العربية بصفة عامة والغنية جدا بمواردها، والدول النامية بصفة خاصة احوج ما تكون الى مثل هذا العلم الذي لا تكاد تخلو منه جامعة في الدول المتقدمة.

أهداف البحث

- التعريف بالموارد الطبيعية، ماهيتها وتصنيفها، ومناهج البحث فيها.
- تحديد مجال تنمية الموارد الطبيعية والبشرية ما امكن.
- وضع تصور لبرنامج جامعي يهتم بتنمية الموارد الطبيعية والبشرية.

التعريف بالموارد الطبيعية

ماهية الموارد الطبيعية

يمكن تعريف الموارد الطبيعية بانها هبات ومعطيات الخالق العظيم في الطبيعة ومنها الهواء، والماء والضوء والمعادن والنبات والأسماك وغير ذلك. وهذه الموارد يمكن تحويلها الى ثروة يستمد الانسان منها مقومات حياته الضرورية[1].

(١) (ابو عيانة، ١٩٨٤م/ ص/٣٧).

وهذه الهبات أو المعطيات الطبيعية لا تصبح موارد الا اذا قام الانسان باستغلالها استغلالا جيدا والا فان قيمتها تبدأ تتلاشى. وبمعنى آخر ان الانسان، الذي يعتبر أهم عوامل الانتاج، اذا ما قام باستغلال أي عنصر من عناصر البيئة الطبيعية فان هذا العنصر يصبح موردا طبيعيا كما ان هذه الموارد الطبيعية لا تصبح موارد اقتصادية الا اذا كان استغلال الانسان لها مجزيا اقتصاديا[2].

وما دمنا بصدد تعريف الموارد الطبيعية فانه يجدر بنا أن نفرق بين مصطلحين هامين لهما علاقة مباشرة بالموارد الطبيعية خاصة الموارد غير المتجددة كالمعادن والبترول والغاز الطبيعي. وهذان المصطلحان هما:

- الموارد — ويشير الى ذلك الجزء من المصادر التي تم اكتشافها ولم تتحدد كمياتها بالضبط وهناك جدوى اقتصادية لاستغلالها في المستقبل[3].
- الاحتياطي — ويشير الى ذلك الجزء من الموارد الطبيعية التي تم اكتشافها وتحددت كمياتها. وهناك جدوى اقتصادية لاستغلالها في الوقت الحاضر بالوسائل التقنية المتوفرة حاليا[4].

تصنيف الموارد

يمكن تصنيف الموارد حسب ماهيتها الى ثلاث مجموعات هي الموارد الطبيعية والموارد البشرية والموارد الحضارية.

- الموارد الطبيعية وهي معطيات وهبات اودعها الخالق العظيم في الطبيعة دون أن يكون للانسان أي دخل في وجودها، ومن أهمها الموارد المائية والهواء والمعادن والاسماك والنباتات والاراضي الزراعية والثروة الحيوانية، والتربة والطاقة الشمسية.

كما يمكن تصنيف الموارد الطبيعية الى مجموعتين على اساس قدرة الموارد على التجدد والاستمرار.

— «موارد متجددة» وتشمل الغطاء النباتي والاسماك والتربة والاراضي الزراعية والمراعي والمياه والهواء والطاقة الشمسية والثروة الحيوانية المستأنسة وغير المستأنسة.

— «موارد غير متجددة» وتعرف بـ«الموارد القابلة للنضوب والنفاد» وتشمل المعادن والفحم والبترول والغاز الطبيعي. كذلك فان بعض الموارد المتجددة كالغابات مثلا، اذا لم يحسن استغلالها فانها قد تصل يوما ما الى درجة النفاد وبالتالي تصبح موردا غير متجدد[5].

وما دمنا بصدد الحديث عن الموارد الطبيعية فلا بد لنا من أن نشير الى الحقائق الرئيسية التالية:

(٢) (ابو العينين، ١٩٧٩م/ ص/٢٩).
(٣) (Schurr et al., P. 222)
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) (Barlowe, 1978, P. 228 — 229).

- ان التوزيع الجغرافي لهذه الموارد على سطح الأرض يعتبر توزيعا غير متساو. فهناك بعض الأماكن تكون غنية بالموارد المائية والنباتية ولكنها تفتقر الى البترول والغاز الطبيعي اللذين يعدان من أهم مصادر الطاقة في وقتنا الحاضر. وهناك أقاليم أخرى قد تكون غنية بخام الحديد الذي يدخل في صناعة الصلب ولكنها تفتقر الى التربة الخصبة والموارد المائية مما أدى الى تدهور المواد الزراعية بها.. وهكذا.
- هناك صعوبة في تحديد القيمة الاقتصادية لكل مورد طبيعي اذ ان هذه القيمة الاقتصادية تختلف من مكان الى آخر مع مرور الزمن. كما أن القيمة الاقتصادية لموارد المياه في الأقاليم الجافة تختلف عنها في الاقاليم الرطبة وكذلك قيمة البترول وأهميته كمصدر من مصادر الطاقة فانها تختلف من مكان الى آخر حسب الحاجة، ومن زمن الى آخر. كذلك فان التربة تصبح موردا زراعيا اذا قام الانسان باستغلالها في الزراعة البدائية أو زراعة الاكتفاء الذاتي، ولكنها تصبح موردا اقتصاديا اذا ما استغلت لاغراض الزراعة العلمية التجارية.
- تختلف درجة جودة المورد الطبيعي الواحد كخام الحديد مثلا من مكان الى آخر، حسب ظروف البيئة الطبيعية «الجيولوجيا»، وهذا بدوره يؤثر على قيمته الاقتصادية.
- تتميز بعض الموارد الطبيعية كالحديد الذي يعتبر موردا غير متجدد، بامكان اعادة تصنيعه واستخدامه لأكثر من مرة.
- تتناقص الموارد الطبيعية القابلة للنفاد باستمرار، وقد يصبح البعض منها نادرا. وهناك مؤشرات يستدل بها على كون المورد نادرا ام لا، نذكر منها ما يلي:
  - تناقص كمية الاحتياطي من المورد باستمرار.
  - ارتفاع قيمته في السوق الحرة.
  - ارتفاع تكلفة الانتاج والنقل.
  - ارتفاع اجرة اليد العاملة.
  - ارتفاع قيمة الأرض التي يتوفر بها المورد[6].

الموارد البشرية

يعتبر الانسان بما اوتي من خبرات وقدرات ومهارات العمود الفقري للموارد البشرية. غير ان قيمة الموارد الطبيعية تقل كثيرا اذا لم يحسن الانسان استغلالها والحفاظ عليها. ويمكن القول بأن المعرفة التي جمعها الانسان، والابتكارات وبعض التنظيمات والاستراتيجيات التي اوجدها عن طريق العلم والتجربة ما هي الا موارد بشرية. ويعدّ الخبير الاقتصادي «زمرمان»، أول من اعتبر المعرفة والتقدم العلمي من الموارد البشرية[7].

(٦) (Howe, 1979, P. 10).
(٧) (ابو العينين، ١٩٧٩م، ص/٣٧).

المـوارد الحضاريـة

وتشمل المباني والطرق والمستشفيات والمدارس والسدود وقنوات الري والصرف والموانيء والمصانع ومحطات توليد الطاقة ومحطات تحلية المياه والمطارات والحدائق والمتنزهات وغير ذلك. وتتميز هذه الموارد بأن مواضعها الطبيعية قد عدلت عن طريق اضافة تحسينات اليها بحيث تصبح ملائمة للانسان الذي بذل الكثير من الجهد والمال في سبيل انشائها. كما تتميز بانها ذات قيمة اقتصادية تزداد كلما تزايد الطلب عليها، ولذا فانها تظل في حاجة الى صيانة مستمرة. وقد يحدث العكس، فاذا ما اهملت هذه الموارد ولحق بها الدمار، فان جدواها الاقتصادية تبدأ في التناقص.

مناهج البحث في الموارد الطبيعية

المنهج الجغرافي

يركز هذا المنهج على دراسة «التوزيع المكاني للموارد الطبيعية على سطح الأرض والعوامل المؤثرة في ذلك. كما ينفرد الجغرافيون عن غيرهم من المهتمين بهذا المجال في وضع خرائط التوزيعات التي يمكننا من خلالها معرفة وتحديد الأماكن التي تتوفر فيها مختلف الموارد الطبيعية. فهناك كثير من الخرائط المتعلقة بالتوزيعات المكانية للغطاء النباتي، وللاراضي الزراعية، وانواع التربة والأمطار، والرياح، والمعادن، والثروتين السمكية والحيوانية. ولقد علل الجغرافيون أسباب هذا التوزيع بدراسة عوامل البيئة اما منفردة أو مجتمعة نظرا لقوة الترابط بينها. ولا يقف الامر عند هذا الحد فحسب وانما تعداه، الى أبعد من ذلك. فقد أسس الجغرافيون في ظل هذا المنهج الكبير مناهج فرعية أخرى يتبع كل منها طريقة خاصة في دراسة الموارد الطبيعية. ومن أهم هذه المناهج ما يلي:

المنهج الاقليمي

ويقوم هذا المنهج بدراسة الموارد الطبيعية داخل اطار اقليمي معين. ويتميز عن غيره من المناهج بانه يعطي صورة متكاملة عن الموارد الاقتصادية للاقليم الواحد والاقاليم المجاورة. وتتباين الاقاليم من مكان الى آخر، فقد تكون قارة من القارات أو اقليما كبيرا كالاقليم المداري المطير، أو اقليما محدود المساحة داخل دولة ما كاقليم السراة في المملكة العربية السعودية. ويلزم الباحث هنا اظهار الشخصية الاقتصادية للاقليم. فقد تكون الزراعة في اقليم السراة هي التي تعتمد على متغيرات البيئة الطبيعية والبشرية. ويعيب هذا المنهج صعوبة تقسيم العالم الى أقاليم اقتصادية واضحة المعالم[٨].

(٨) (عامر، ١٩٨٣م — ص/٢٣٠).

المنهج المحصولي

ويقوم هذا المنهج على اساس دراسة مورد واحد من الموارد الطبيعية كالتربة أو البترول، أو الغابات، أو محصول كمحصول القطن او القمح ونحو ذلك أما على مستوى العالم أو على مستوى اقليم من الاقاليم. ويتعرض الباحث هنا للتوزيع الجغرافي للمورد أو المحصول، ويحدد العوامل الجغرافية المؤثرة فيه، ويناقش كمية الانتاج ومقدار الاستهلاك والأماكن التي يسوق فيها الفائض. وبمعنى آخر فان اطار هذا المنهج يتحدد في الاجابة عن الاسئلة التالية:

— أين ينتج المحصول أو المورد؟
— اين يستهلك؟
— ما هي مناطق الانتاج الثانوية؟
— لماذا ينتج ولماذا يسوق ولماذا يستهلك؟
— كيف ينتج وكيف يسوق وكيف يستهلك[٩]؟

المنهج الحرفي

ويعنى هذا المنهج بدراسة الحرف القائمة على الموارد الاقتصادية، ومن أمثلة ذلك حرفة الرعي القائمة على موارد الثروة الحيوانية، وحرفة الصيد القائمة غالبا على صيد الأسماك، وحرفة قطع الغابات القائمة على الموارد الغابية، وحرفة الصناعة القائمة على الموارد النفطية والمعدنية، وحرفة الزراعة القائمة على الموارد الزراعية، وحرفة التجارة القائمة على السلع المنتجة من هذه الموارد، وهكذا. وتختلف المجتمعات البشرية من حيث نسبة العاملين في هذه القطاعات الاقتصادية الا انه بالامكان القول ان أغلب سكان المجتمعات المتقدمة يعملون في الصناعة والتجارة والادارة ونحوها وبالعكس نجد معظم سكان الدول النامية يعملون في الزراعة والصيد وقطع الاخشاب ونحو ذلك[١٠].

المنهج الاصولي

ويتناول هذا المنهج دراسة العوامل الجغرافية (طبيعة وبشرية) التي تؤثر في الانتاج الاقتصادي لأي مورد من الموارد الطبيعية. فعلى سبيل المثال، نجد أن عوامل البيئة الطبيعية تضع حدودا لانتاج غلة ما. بمعنى آخر ان انتاج اي غلة ما كالقمح، مثلا، يتطلب ظروفا طبيعية معينة عن طريقها يمكننا تحديد المناطق التي يمكن انتاج القمح بها في العالم. كذلك فان العوامل البشرية (الاقتصادية والسياسية والاجتماعية) لها دور كبير فيما يتعلق بنمط الاستغلال الاقتصادي لمورد ما، فهي التي تحدد نوع الانتاج، وكمية الانتاج، ومقدار الاستهلاك، ومناطق التسويق[١١].

(٩) (ابو عيانة، ١٩٨٤م/ص/٢٩).
(١٠) (ابو العينين، ١٩٧٩م/ ص/ ٢٣).
(١١) (ابو عيانة، ١٩٨٤م/ ص/٣٢ — ٣٣).

المنهج الوظيفي

ويقوم هذا المنهج على اساس تحليل التركيب الوظيفي للنظم الاقتصادية كالزراعة والصناعة والتجارة والنقل وغير ذلك واضعا في الاعتبار تطورها التاريخي. فعلى سبيل المثال، انه في المجتمعات الزراعية البدائية أو التقليدية القديمة تكون الوظيفة الاقتصادية للانتاج والاستهلاك بسيطة جدا لا تتعدى مستوى الاكتفاء الذاتي. ولكن بتقدم الزراعة كما هو الآن في غرب اوربا وامريكا الشمالية واستراليا، نجد الوظيفة الاقتصادية قد تغيرت بحيث اصبح الانتاج والاستهلاك يخدم اغراضا تجارية ويورد «ابو عيانة» مثلا من واقع الجغرافيا الزراعية اذ يرى ان دراستها يجب ان تتناول الموضوعات التالية:

- مستوى المزرعة الفردية.
- مستوى الاسواق المحلية للانتاج الزراعي.
- وظيفة الاقليم الزراعية داخل الاقتصاد القومي.
- التجارة الدولية في المنتجات الزراعية[١٢].

المنهج الاقتصادي

ويركز هذا المنهج على دراسة الجوانب الاقتصادية للموارد الطبيعية معطيا قليلا من الأهمية للعوامل الطبيعية والاجتماعية. ومن الأمور التي تهم الاقتصادي عند دراسته لأي مورد طبيعي سواء كان ذلك على مستوى عالمي أو على مستوى اقليمي معين، ما يلي:

- كميات الانتاج.
- تكاليف الانتاج.
- تكاليف النقل.
- مناطق الاستهلاك وطرق التسويق.
- الاسعار، والضرائب، والارباح.

ويعيب هذا المنهج تحيزه للعوامل الاقتصادية فقط واهماله بقية عوامل البيئة التي تسهم بدورها في تحديد نوعية وكمية ودرجة جودة المورد.

المنهج السياسي

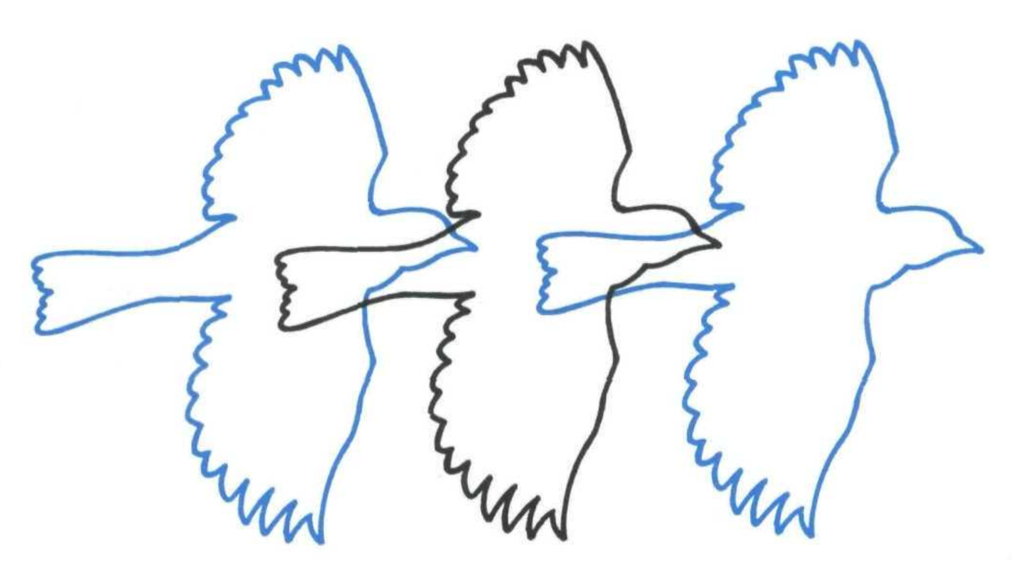
ويركز انصار هذا المنهج على دراسة القوانين التي يمكن بموجبها ان تستغل الموارد الطبيعية، وكذلك «قوانين حماية البيئة». كما يعنى هذا المنهج ايضا بدراسة تاريخ استغلال الموارد في العالم أو في قارة من القارات أو دولة من الدول أو اقليم من الاقاليم الى جانب دراسة المشاكل التي تنشب بين الأمم بسبب الخلاف حول استغلال الموارد الطبيعية، ونصيب كل دولة على حدة، وخاصة فيما يتعلق بالموارد الكامنة في البحار والمحيطات التي يرى الكثير انها ملك للعالم أجمع. ويعيب هذا المنهج تركيزه على العوامل السياسية دون سواها □

(١٢) (ابو عيانة، ١٩٨٤م/ ص/ ٣٤ — ٣٥).

هجرة الطيور

أهي محكومة بعوامل بيئية خارجيّة أم بحوافز داخليّة في ذات الطير ؟

ابراهيم أحمد الشنطي / هيئة التحرير



قد يشاهد المرء أسراباً من الطيور مهاجرة من الشمال إلى الجنوب في الخريف ، وعائدة من الجنوب إلى الشمال في الربيع ، فلا تثير فيه اهتماماً يذكر[1] . ترى ما هي الحوافز والبواعث التي تثير في هذه الطيور أحاسيس الهجرة والرحيل ، أهي عوامل البيئة أم أشياء أخرى لا تستطيع أن تتحول عنها أو تمتنع منها !؟

---

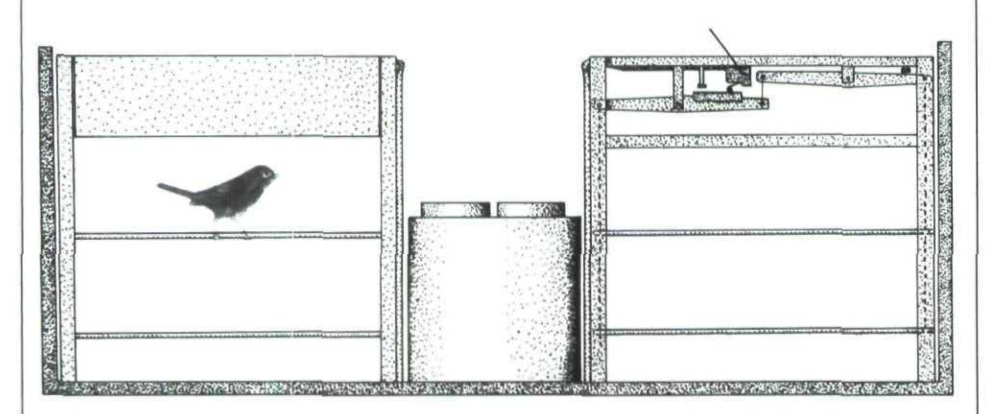
١ — العرب تسمي هذه الطيور بالقواطع والرواجع ، انظر كتاب الحيوان الجزء السابع صفحة ١٩

أسئلة كثيرة تراود الباحثين وهم يشاهدون اسراب الطيور تحلق منتظمة في الجو على شكل الرقم «٧» قائدها في زاوية التقاء الضلعين، وبقية افراد السرب على الجانبين خلفه. تمر امام المشاهد جوا لا يدري هل ستحط على مسافة منه ام انها سوف تعبر الأفق امامه وهي في طريقها الى مصيفها أو مشتاها. وايا كان الاتجاه فان اسراب الطيور تظل في طيرانها، حتى تبلغ مقصدها دون خطأ أو توان، تاركة الباحث في تقصيه لمعرفة الدافع وراء هذه الرحلات، والموجه والمرشد لهذه الطيور وهي في طريقها الى المناطق الدافئة شتاء، وكذلك عند العودة الى الشمال في فصل الربيع لتتكاثر وتربي صغارها!

هناك، كما يشير الباحثون، احتمالان لهذا التساؤل احدهما نابع من عوامل البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الطائر، ومنها تغير درجات الحرارة وطول فترة النهار وقصرها التي ترافق تغير الفصول، فقصر النهار وانخفاض درجات الحرارة كفيلان بإثارة احساس الطير فيتجه الى الجنوب الدافيء قبيل حلول الشتاء، بينما يكون النهار الطويل وارتفاع درجة الحرارة حافزا آخر للطائر على العودة الى مكان تكاثره في فصل الربيع. اما الاحتمال الآخر، كما يقول الباحثون، فهو وجود حافز داخلي في جسم الطائر.

في الماضي كان البحث الدائر حول هجرة الطيور يتركز على العوامل الخارجية، أي على البيئة والطقس واحوالها الا انه ومنذ نحو عشرين سنة خلت، والبحث متجه الى ذات الطائر — الى جسمه ونفسه. وقد توصل الباحثون الى أن التواتر الباطني للطائر له أثره الفعال في هجرته. وهذا التواتر الحولي لدى الطائر يوفر له اطارا كاملا لتوقيت الهجرة، كما يؤثر بشكل عام على تفاصيل الهجرة ويساعد على توجيه الطائر الى أهداف محددة. الا أنه بالامكان تعديل هذا التواتر الحولي اما لعوامل الطبيعة او بالتعلم. وبالتعرف الى هذين الامرين يمكن للعلماء اكتشاف أشياء اساسية في جهاز التحكم بهجرة الطيور.

وبحكم موقع «معهد فوقلوارت رادلغزل» في جنوبي المانيا الغربية قام علماء المعهد بمراقبة الطيور المهاجرة من شمال اوربا الى الجنوب باتجاه أفريقيا كنموذج للطيور المهاجرة حيث تشكل منطقة المعهد مسربا من مسارب عدة تعبرها الطيور، على اختلاف انواعها، وهي في هجرتها الخريفية. وهناك أيضا مسرب مشهور تعبر خلاله الطيور وهي في هجرتها من امريكا الشمالية الى امريكا الوسطى والجنوبية. كما يوجد مسرب آخر يربط شمال شرق آسيا بالجنوب الشرقي منها وباستراليا. ولما كانت هناك اعداد كبيرة من الطيور التي تعيش في المناطق المعتدلة تهاجر سنويا الى المناطق الجنوبية فقد كانت مسارب هذه الطيور وخطوط هجرتها وطيرانها عديدة ومعقدة. غير أن احدها، وهو الذي يربط مناطق شمالي اوربا بافريقيا، كان اكثرها درسا عن قرب.



القفص المثمن الشكل، كان احدى الوسائل التي ابتكرها العلماء لمعرفة نظام هجرة الطيور ودوافعها. وقد زود القفص ببعض الأشرطة والأجهزة الدقيقة لتسجيل حركة الطير في الليل والنهار وبصورة منتظمة.

أكثر ما عرف عن هجرة الطيور بين شمالي اوربا وافريقيا قد جاء نتيجة تجارب ربط عصابات حول أرجل الطيور، واطلاقها، منذ اوائل القرن الحالي. وخلال هذه السنوات الطويلة الماضية تم عصب نحو ٦٠ مليون طائر في اوربا واطلاقها، وقد استرجع منها اكثر من مليون طائر وفرت معلومات قيمة. واعتمادا على بعض المعلومات السابقة، يقدر «معهد ادوارد قري» في انجلترا، عدد الطيور التي تهاجر سنويا من اوربا الى افريقيا بنحو خمسة بلايين طير. وتغزو هذه الطيور، في هجرتها، مساحات شاسعة في افريقيا تمتد من أقصى الشمال حتى أقصى الجنوب. وفي الوقت الذي تقطع فيه اسراب طيور دجاج الأرض بضع مئات من الكيلومترات، وهي في هجرتها الشتوية عبر البحر المتوسط، نجد ان بط سيبيريا يقطع أكثر من ١٢٠٠٠ كيلومتر عبر آسيا وشرقي اوربا قبل أن يصل الى مقره الشتوي في اواسط افريقيا.

وقد اجرى علماء «معهد فوقلوارت زادلغزل» معظم تجاربهم على طيور «الشادي» و«صائد الذباب» المتوفرة في اوربا. ولدراسة كيفية تحكم هذه الطيور بهجرتها السنوية كان لا بد من اجابة شافية عن ثلاثة اسئلة رئيسية: أولها هو كيفية توقيت موعد بدء الهجرة، وثانيها هو كيف يستطيع الطائر التحليق والطيران نحو هدفه المحدد دونما خطأ، وثالثها هو كيف يستطيع جناحا الطائر وسائر اعضائه تحمل التحليق عبر هذه المسافات البعيدة وعبر المحيطات والصحارى، وفي أحوال لا يستطيع فيها الطير تجديد قواه المنهكة.

ان الاجابة الشافية عن هذه الاسئلة امر ممتع، لكن تحقيقها في وقت واحد أمر صعب. ولذلك بدأ العلماء، في اواسط الستينات، بالتركيز على دراسة توقيت الهجرة، وتحديد المصدر الذي يجعل الطائر يأخذ بالاعداد للهجرة ثم البدء فيها واختتامها كذلك. ومن خلال دراسة التوقيت وأسبابه استطاع العلماء الحصول على نتائج أخرى يمكن ان تجيب عن السؤالين الآخرين.

ان العلماء قد قاموا بسلسلة تجارب تهدف الى معرفة توقيت الهجرة. وفي كثير من الحالات كانت هذه التجارب تتم في اقفاص لمراقبة الطيور بصورة دقيقة للتعرف الى مظاهر سلوكها المتزامنة مع الهجرة. وكان هذا التصرف من ناحية الطيور ذا اهمية بالغة اذ انه يعد دليلا على مؤشرات المراحل المتتالية لدورة الهجرة السنوية دونما انقطاع او ملل منها. وكانت الطيور التي اجريت عليها الدراسة من نوع الطائر الشادي وصائد الذباب، وهي طيور ليلية، تطير ليلا وتستريح نهارا. وعندما حجزت هذه الطيور في اقفاص خلال فصل الخريف او الربيع، موعد هجرتها العادية، فانها أظهرت نشاطا غير عادي اثناء الليل. وهذا النشاط، أو القلق، الذي يأخذ اشكالا عدة، دليل على أن هناك ظاهرة أو احساسات عضوية — Physiological تحفز الطير على الهجرة. وكان لذلك الأسلوب دور بالغ في التجارب التي اجريت عام ١٩٦٦م. التي كانت تهدف الى معرفة كيفية نشوء هجرة الربيع وبدايتها لدى الطائر «الشادي»، وهو طائر صغير يعيش ويتكاثر في اواسط وشمالي المناطق الآسيوية — الاوربية. اما الأماكن التي يقضي فيها فصل الشتاء فهي المناطق الاستوائية من نصف الكرة الأرضية الجنوبي. وكان هذا الطائر، موضوع التجربة، يقطن في المانيا ويتكاثر فيها ويقضي فترة الشتاء في افريقيا الاستوائية.

وعندما بدأ العلماء تجاربهم كان معروفا لديهم ان للنهار، من حيث طوله وقصره، تأثيرا كبيرا على حواس الطيور المهاجرة. ومعروف أيضا أن تفاوت عدد ساعات النهار في افريقيا الاستوائية، حيث تقضي الطيور فصل الشتاء، لا يشكل تغيرا كبيرا. وعليه يصعب القول بأن للفترة الضوئية للنهار في تلك المناطق، وهي القليلة التفاوت، دورا في استهلال الطائر لهجرته الربيعية باتجاه الشمال. وهذا الاستنتاج يغري بافتراض ان هناك احساسا داخليا في ذات الطائر يحثه ليبدأ رحلته الى اماكن تكاثره شتاء دونما تأثير خارجي عليه.

ولدراسة سلوك الطير الشادي عندما يحين موعد هجرته، قام احد العلماء بحجز ثلاث مجموعات منه في اقفاص مدرجة يمكن بواسطتها قياس حركة الطير ونشاطه في موسم الهجرة وذلك بوضع جهاز صغير تحت مجثم الطير يرسل اشارة الى جهاز قريب منه كلما تحرك او قفز. وظهر ان معظم النشاط الليلي لهذا الطائر المغرد يكون على شكل قفزات، تكاد تكون مستمرة، داخل قفصه حيث يقوم ذلك الجهاز بتسجيل تلك الحركات على شريحة من الورق. وبحساب عدد قفزات الطائر من مجثمه، كل ساعة او نصف ساعة مثلا، يمكن التعرف الى درجة «قلقه» على الهجرة او تشوقه اليها.

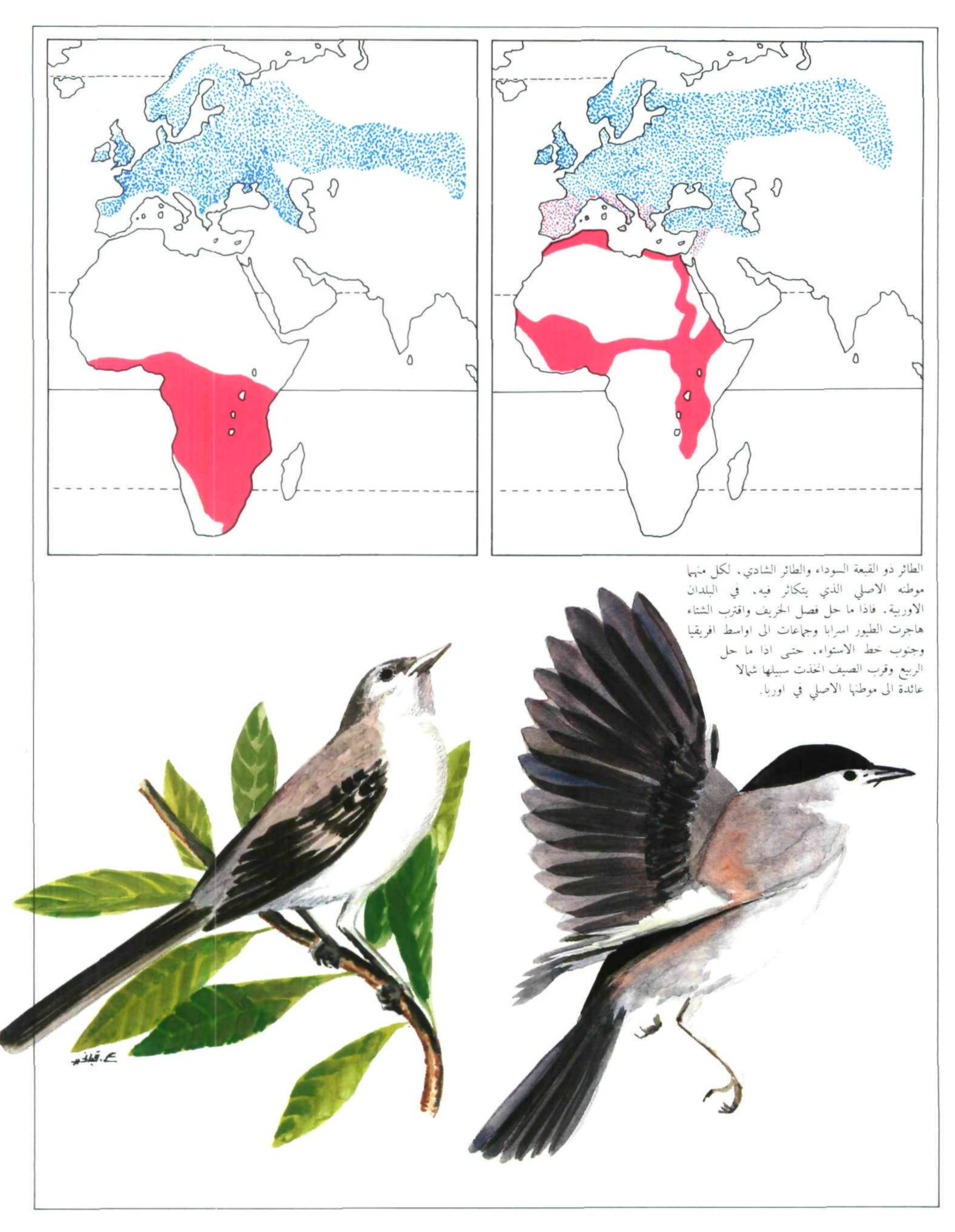
ومن ضمن التجارب التي اجريت في ذلك المختبر حجز مجموعة من تلك الطيور في مكان ذي درجة حرارة ثابتة وانارة شبيهة بالنهار، مدتها ١٢ ساعة. وكان الهدف من هذه التجربة هو معرفة تصرف الطيور عندما يحين موعد هجرتها الموسمية المعتادة، ودون أن يكون هناك علامات خارجية لها، كطول النهار وقصره او تفاوت درجات الحرارة. وقد أرسلت مجموعة ثانية الى شرقي زائير، في افريقيا، وفي منطقة تقع على مسافة درجتين جنوبي خط العرض الذي تتخذ منه الطيور مكانا لاقامتها في فصل الشتاء. كما حجزت مجموعة ثالثة في غرفة بالمختبر ذات نوافذ واسعة تتعرض لتفاوت ساعات النهار ودرجات الحرارة. وقد حجزت المجموعات في اقفاص مستقلة لمعرفة حركتها وتصرفها عندما يحين موعد هجرتها الموسمية في فصلي الخريف والربيع.

وجاءت النتيجة جلية واضحة، فقد توقف نشاط المجموعات الثلاث وتشوقها لهجرة الخريف في شهري ديسمبر ويناير، وبدأ نشاطها لهجرة الربيع في شهري فبراير ومارس. وهذا السلوك هو المتبع لدى تلك الطيور وهي في بيئتها الطبيعية خارج الأقفاص. وزيادة على ذلك فقد جددت المجموعات ريشها في الوقت الصحيح. ومواعيد طرح الريش او تجديده تختلف حسب أنواع الطيور. وعلى أية حال فان تجديد الريش يتم في وقت محدد بالنسبة للهجرة. فالطائر الشادي يجدد ريشه في منتصف الشتاء، وعقب وصوله الى مشتاه مباشرة. وهذا ما حصل مع المجموعات الثلاث المحجوزة في الأقفاص.

واقعة التزام الطير الشادي بتجديد ريشه وتشوقه للهجرة في موعد محدد، رغم ثبات ساعات النهار ودرجات الحرارة في بيئته المصطنعة يوحي بأن هناك، في ذات الطائر، حافزا وهاجسا داخليا يوقت له نشاطه الموسمي. لكن ذلك الحافز الداخلي غير جازم لاحتمال تفسيره وذلك لأمرين: فالأول ربما يحدث في فصل الشتاء نتيجة لاقتراب موعد الاخصاب الذي يحين في فصل الربيع التالي. وهذا تغير حولي يأتي في موعده المحدد مرة كل سنة. اما الاحتمال الآخر فهو ان يكون هناك منظم باطني له ايقاع منسق ينبه الطائر الى موعد هجرته فيقوم بها دونما حاجة الى منبه او حافز خارجي.

غير أن هذه التجارب الآنفة الذكر والتي اجريت منذ عام ١٩٦٦ لم توصل الباحثين الى بغيتهم، فقاموا باجراء تجارب اخرى لبلوغ هدفهم المنشود. وكان الطير الذي اجروا عليه تجاربهم نوعا آخر من فصيلة الطائر الشادي يوجد في الحدائق عامة، ونظام هجرته يشبه الطائر الشادي الى حد بعيد. فقاموا باختبار ثلاث مجموعات من هذه الطيور تحت ظروف ضوئية ثابتة لمدة ثلاث سنوات. وكانت فترة الضوء، أي النهار، بالنسبة للمجموعة الأولى تستغرق عشر ساعات يوميا، وللمجموعة الثانية ١٢ ساعة وللثالثة ١٦ ساعة. واظهرت التجارب على هذه المجموعات نتيجة واحدة لكل الحالات: في التشوق للهجرة، وعند تجديد الريش، وفي انماط التصرف. وكانت النتيجة واحدة على مدى السنوات الثلاث، مع اختلاف طول فترات الضوء (النهار) أو قصرها.

قام العلماء باجراء التجربة على مجموعة من طيور الشادي وعلى نوع ذي قبعة سوداء. وجمعت الطيور في مكان ذي ضوء ثابت لا يتغير، وكأنه نهار. وكانت مراقبة العلماء مركزة على موعد تجديد الريش. وجاءت النتيجة مؤكدة الموعد السنوي الذي يتم التجديد فيه، على الرغم من وجود النهار الدائم. وكذلك فان الطيور



الطائر ذو القبعة السوداء والطائر الشادي. لكل منهما موطنه الاصلي الذي يتكاثر فيه. في البلدان الاوربية. فاذا ما حل فصل الخريف واقترب الشتاء هاجرت الطيور اسرابا وجماعات الى اواسط افريقيا وجنوب خط الاستواء. حتى اذا ما حل الربيع وقرب الصيف اتخذت سبيلها شمالا عائدة الى موطنها الاصلي في اوربا.

الطليقة من كلا النوعين تجدد ريشها مرتين كل سنة وفي موعد محدد وهذا ما فعلته الطيور موضع الاختبار التي تعيش في نهار دائم تماما. واستمرت على هذه الحال نحوا من ثماني سنوات أو أكثر، وكانت هذه النتيجة المدهشة في كلا النوعين دليلا على أن هناك جهازا ذاتيا لدى الطير يحدد له موعد أو وقت الهجرة وما يستتبع ذلك من تصرفات او سلوكيات أخرى.

هناك ملاحظة هامة ظهرت على الطيور المحتجزة لعدة سنوات وهذه الملاحظة هي قصر الدورة السنوية لديها فكانت تبدل ريشها، في التبديل الشتوي، مرة كل عشرة أشهر بدلا من كل اثني عشر شهرا. ولهذا الأمر سببان: الأول ان الحافز الحولي ما كان ليحدث لو لم يكن هناك جهاز داخلي، في ذات الطائر، يثير فيه الاحساس باقتراب موعد التبديل. ولو كان الحافز خارجيا لتم التبديل في موعده المحدد كل اثني عشر شهرا. والسبب الثاني هو أن الطيور الطليقة تبدل ريشها وتهاجر في الموعد ذاته من كل سنة، وعليه يمكن القول بأن هناك عاملا مشتركا يجمع بين الحافز الداخلي في ذات الطائر والبيئة من حوله. ولم يكن التعرف الى هذا العامل أمرا صعبا، اذ سرعان ما اوجد العلماء بيئة طبيعية للطيور المحجوزة، شبيهة بتلك البيئة التي تتكاثر فيها، فبدلت ريشها وتحفزت للهجرة في الوقت المحدد. كذلك ظهر للعلماء انه بالامكان تقصير هذه المدة الى ستة أشهر اذا ما استخدموا المؤثرات البيئية.

بعد ذلك عكفوا على معرفة ما اذا كان الاحساس الداخلي للطائر يؤثر على تفاصيل هجرته ومدتها وهدفها. ولمعرفة ذلك كان لا بد لهم من تربية عدد من الطيور في غير بيئتها الطبيعية في محاولة لضمان معرفة مسار الهجرة بتجربة سابقة.

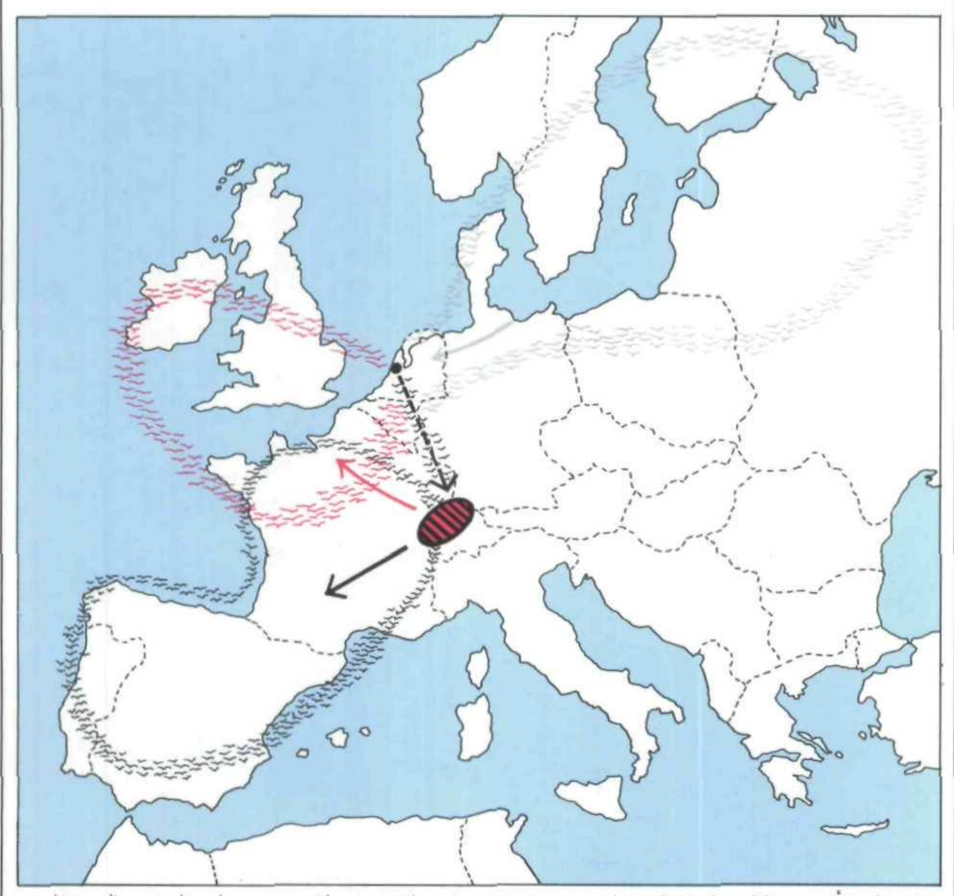
وقد جمع العلماء اعدادا من الطيور من اعشاشها لا تتجاوز في أعمارها اسبوعا واحدا ثم ربوها في اقفاص المختبر، يطعمونها بأنفسهم الحشرات الصغيرة والديدان وغير ذلك مما يقبل عليه جنسها. وكان لهذا الأسلوب فائدتان احداهما ان الطيور لم تعرف البيئة الطبيعية، واعتادت الاقفاص قبل أن تصبح قادرة على الطيران، ولذا لم تتصرف بطريقة الطيور العادية التي يجري حجزها وهي بالغة. والثانية ان الطيور التي يربيها العلماء يعرفون تاريخ حياتها كاملا.. عمرها واصلها وموطنها وخبرتها الخ. وعندما جاء موعد الهجرة اظهرت الطيور المحتجزة، صغارا، وهي عديمة الخبرة، نشاطا زائدا، بل وقلقا شديدا في شهري اغسطس و سبتمبر، وهما الفترة التي تهاجر فيها الطيور الطليقة الى موطنها الشتوي عابرة البحر الأبيض المتوسط والصحارى الى اواسط افريقيا. ثم ان حدة نشاطها وقلقها اخذت تخف بوصول الطيور الطليقة الى مشتاها. وقد افادت هذه النتائج بان طيور الشادي لا تحصل على خبرة الهجرة عن طريق التعلم.

كذلك افادت التجارب ان مدة قلق الطيور المحتجزة تكون بطول المدة التي تستغرقها هجرة الطيور من نفس النوع بل وفصيلتها، من موطنها في اوربا الى مشتاها في اواسط افريقيا. فطيور الشادي التي اخذت من اعشاش في فنلندا واحتجزت في الاقفاص استمر قلقها مقدار الفترة التي تستغرقها الطيور، من فصيلتها، في هجرتها من فنلندا الى افريقيا. وكذلك الطيور التي أخذت من اعشاش في المانيا او فرنسا حيث كانت فترة النشاط والقلق أقصر نسبيا وحسب طول المسافة والفترة التي تستغرقها الهجرة بين الموطنين الاوروبي والافريقي.

وبعد ذلك قام اثنان من العلماء بمحاولة للتعرف الى سلوك الطيور المهجنة فزاوجوا بين طيور، من فصيلة واحدة، بعضها يتخذ موطنه في المانيا والبعض الآخر في جزر الكناري، ثم احتجزوا اصغارها. وعندما حل فصل الخريف وبدأت الطيور الطليقة في المانيا وجزر الكناري تهاجر الى مشتاها في افريقيا اظهرت الطيور المحتجزة نشاطا زائدا لكن طول الفترة التي استمر فيها نشاطها هذا كان متوسط طول فترتي هجرة الطيور من المانيا وجزر الكناري. وقد اثبتت هذه التجارب أن زمن وتوقيت الهجرة مرتبط بمنهاج اصلي موروث، يمكن ان يساعد الطيور الصغيرة، عديمة الخبرة، على بلوغ موطنها الشتوي الذي يعتبر ضروريا لبقائها.

وهناك طيور تهاجر جماعات، وفي هذه الحالة تتبع الطيور عديمة الخبرة غيرها من الطيور المجربة. ومع ذلك فهناك طيور تهاجر منفردة وخاصة الطيور الصغيرة الحجم، وهنا يتحتم على كل منها أن يجد طريق هجرته بمفرده سواء كانت لديه خبرة سابقة ام لا. وطبيعي أن التعلم لا يفيد الطائر عديم الخبرة في معرفة طريق رحلته، ولذا كان لا بد من وجود شيء ما، في ذاته، يهديه في طيرانه كما يهتدي ملاح السفينة بالبوصلة.

وقد عرف، منذ زمن مضى، ان الطيور المبتدئة، أي عديمة الخبرة، تعتمد، في هجرتها، على أسلوب طيران يختلف عن اسلوب الطيور المجربة. وقد اكدت ذلك تجربة قام بها احد العلماء في معهد الأبحاث البيولوجية في هولندا حيث قام بدراسة طيور الزرزور الاوربي الذي يعيش حول بحر البلطيق وعلى شواطيء بلدان السويد وفنلندا وبولندا والمانيا والدانمارك. في فصل الخريف من كل



الطيور المجربة أقدر من الطيور المبتدئة لمعرفة طريق هجرتها وقد قام احد العلماء باصطياد عدد من طيور الزرزور، التي تتخذ من بلدان حوض بحر البلطيق موطنا لها تتكاثر فيه، وهي في منتصف رحلتها الشتوية من حوض البلطيق الى فرنسا وانجلترا، ثم نقلها الى سويسرا، في وسط اوربا، واطلقها من أجل التعرف الى سلوكها في هجرتها وما اذا كانت ستهتدي ام تضل. وأظهرت التجربة ان الطيور المجربة كانت أقدر من المبتدئة على معرفة هدفها.

عام تهاجر طيور الزرزور باتجاه الجنوب الغربي اي الى شمال فرنسا وجنوب انجلترا. وفي تجربة واحدة اصطاد هذا العالم احد عشر الف طير من طيور الزرزور بالقرب من مدينة لاهاي بهولندا ثم نقلها بالطائرة الى سويسرا وربط على كل منها علامة ثم اطلقها لتأخذ سبيلها انى شاءت.

وقد استرجع العالم نحو ٣٠٠ من هذه الطيور وبتحديد مواقعها ظهر أن الطيور المجربة التي سبق لها ان قامت بالهجرة قد عوضت، بخبرتها السابقة، المكان غير المعتاد الذي انطلقت منه، واتجهت الى شمال فرنسا وجنوب انجلترا. اما الطيور المبتدئة، التي لم يسبق لها الهجرة، فاتجهت بموازاة خط الهجرة الاعتيادي، الى الجنوب الغربي من سويسرا. وهذه التجربة توحي بأن الطيور المبتدئة تستطيع الطيران بموازاة اتجاه طريق الهجرة العام فقط، وان احساسها الموجه لها في طيرانها لا يستوعب غير اتجاه واحد. وهذا طبعا افتراض غير عملي. فلو كانت الطيور المبتدئة قد سلكت في هجرتها الأولى الطريق الاعتيادي وان عوامل التشويش عليها، كالرياح والأمطار، لم تكن قوية وان انطلاقها كان من موطنها الاصلي، ولم يتغير كما فعل بها العالم، لأمكنها بلوغ هدفها، وكل ما كانت ستحتاجه هو احساس داخلي يشعرها بالوقت الذي تبدأ طيرانها فيه او تتوقف عنه.

لقد كانت نتائج التجارب الحقلية متسقة مع الافتراض القائل بأن الطيور المبتدئة تعتمد في هجرتها على حافز باطني، أو ما يشبه ساعة داخلية. وللتحقق من ذلك قام احد العلماء باصطياد عدد من طيور الزاغ (الغربان) في موقع يتوسط طريق هجرتها من فنلندا الى شمال المانيا. ثم ربط عليها علامة ونقلها الى مكان يقع جنوبي مشتاها قبل أن يطلقها. ولما استعاد بعضا من هذه الطيور وجد انها قد استمرت في هجرتها، من المكان الذي اطلقها فيه، باتجاه الجنوب، الأمر الذي ابعدها كثيرا عن موقع مشتاها المعتاد. وظهر أن المسافة التي قطعتها بعد اطلاقها تساوي، تقريبا، المسافة التي كانت تفصل بين الموقع الذي اصطيدت فيه وبين مشتاها المعتاد. أي أن الحافز الباطني، ظل يحثها على الاستمرار في الطيران حتى تقطع المسافة المقررة، وقد ظهر أيضا أن الطيور المبتدئة قد قطعت المسافة بالضبط ولكن بعيدا عن هدفها.

لقد اوضحت التجارب السابقة الاختلاف بين نظام طيران الطيور المبتدئة والخبرة. ودللت على أن الطيور التي سبق لها الهجرة أقدر على سلوك الطريق الصحيح وانها، عندما نقلت من موقعها المعتاد ثم اطلقت، كانت أقدر على تعديل مسارها وبلوغ هدفها. اما كيف تفعل ذلك فغير معروف. كما دلت التجارب على أن الطيور المبتدئة ليس لها القدرة على ذلك، وانها تعتمد على ما يظهر، على اتجاه وحيد محدد كما لو كان بداخلها ساعة يتم ضبطها في وقت مسبق. ومن خلال التجارب المتعددة التي اجريت على الطيور المحتجزة، وخاصة الطير الشادي، ظهر أن لديها، في ذاتها، نظاما وراثيا يحدد لها الزمن وجهة الهجرة. وان اتساق الاعضاء الحسية في اداء وظائفها يكمن وراء سلوك الطير وحركته النشطة في القفص. وهذا الاتساق هو الذي يحفز الطير على الطيران والاسراع فيه أو التمهل والتوقف.

ومع أن أسلوب الهجرة يختلف الى حد كبير، بين الطيور المجربة والمبتدئة، الا ان كليهما يشتركان في التطلع الى معرفة الاتجاه الصحيح، والذي يبدو ان هناك تناسقا حوليا يحل لها المشكلة. ومن خلال التجارب التي قام بها العلماء ظهر أن اختيار الطيور المهاجرة يكون عن طريق حالة الطير النفسية أكثر مما يكون عن طريق عوامل خارجية طبيعية كحالة الجو او البيئة او مواقع النجوم. وقد قام العالم «ستيفن املن»، من جامعة كورنل، بتجربة في هذا الشأن حيث احتجز مجموعة من الطيور وعرضها لدورتي هجرة في سنة واحدة. فقد عمد هذا العالم الى استعمال مؤثرات خارجية حيث اوجد بيئة للطيور المحتجزة تتقدم زمنيا على موعد تبديل الريش والهجرة وبذلك أصبحت الطيور في حالة عضوية خريفية في فصل الربيع. ثم نقلها الى بيئة ذات سماء وجو شبيهان بما تكون عليه البيئة الطبيعية في فصل الربيع. وعلى الرغم من الدلالات النجمية في تلك البيئة المصطنعة التي اوجدها العالم لم تستجب لها بل استجابت لحالتها الذاتية الداخلية واخذت تقفز في اقفاصها، باتجاه الجنوب محاولة البدء في هجرتها الخريفية.

وهنا سؤال يطرح نفسه الا وهو، هل كان هذا الاختبار ناتجا عن التأثيرات الضوئية التي اوجدها «املن»؟ أو عن الاتساق الحولي الخفي في ذات الطائر!؟ وكان لا بد من الاجابة عن هذا التساؤل، فقام عالمان من جامعة فرانكفورت باجراء تجارب تفصل بين هذين العاملين. وقد جمعا ٥٩ طائرا، وكانت الطيور موضع التجربة من نوع الشادي، قاما بتربيتها في المختبر. وكان اختيارهما لهذه الطيور التي تعيش في حدائق المنازل، لأن هجرتها الفصلية متفقة مع معظم الطيور الاوربية، وتتبع ذات الاتجاه. فهذه الطيور تغادر مكان تكاثرها، في اوربا، في فصل الخريف باتجاه الجنوب الغربي نحو شبه جزيرة ايبريا (اسبانيا) او شمال افريقيا ثم تتحول الى الجنوب او الجنوب الشرقي وتستمر في طيرانها حتى تصل الى مشتاها في اواسط افريقيا. اما طريق العودة، التي تسلكها في فصل الربيع، فتكون رأسا من الجنوب الى الشمال. وحتى يعزل العالمان الطيور عن النظام الحولي كان لا بد من تقليل تذبذب الفصول التي قد تشعر به، فحجزا الطيور في غرف ذات درجات حرارة ثابتة وفترات ضوئية لا تتغير.

وحتى يمكن فحص كيفية اختيار الطائر لاتجاهه كان لا بد من أن يكون الطائر قادرا على تكييف نفسه مع اتجاه البوصلة. وقد أشار احد العلماء الى أن طيور الشادي تكيف نفسها عن طريق النجوم أو المجال المغناطيسي للأرض. ولذا فقد عمد العالمان، الى حجز مرأى السماء عن الطيور موضع التجربة. اما المجال المغناطيسي للأرض فيمر في تغيرات فصلية قليلة جدا، ولذا لم يحاولا التدخل فيه وتركا الطيور تتكيف معه.

وهكذا عزلت الطيور عن اية علامات فصلية، ثم حجزت، في فترات منتظمة، في اقفاص مثمنة الشكل يبلغ قطر كل واحد منها حوالي متر. ووضع تحت كل جزء من الأجزاء الثمانية ما يشبه النابض الصغير، فاذا ما قفز الطائر الى أي منها اهتز النابض وسجل حركة الطائر اليه مبينا الاتجاه الذي اختاره معتمدا على حواسه الذاتية.

وجاءت النتيجة مذهلة حقا، ففي شهري اغسطس وسبتمبر وعندما بدأت الطيور الطليقة تسلك طريق هجرتها السنوية الى مشتاها باتجاه الجنوب الغربي، كانت الطيور المحتجزة في الاقفاص، بعيدا عن المؤثرات الطبيعية، تقفز في ذلك الجزء المتجه الى الجنوب الغربي من القفص المثمن الشكل. وفي النصف الثاني من فترة الهجرة الخريفية، وهي الفترة التي تتحول فيها الطيور الطليقة من الجنوب الغربي باتجاه اسبانيا الى الجنوب المعتدل باتجاه افريقيا الوسطى، كانت الطيور المحتجزة تقفز باتجاه الجزء الجنوبي والجنوب الشرقي من القفص. وفي رحلة الربيع عندما بدأت الطيور الطليقة هجرتها من افريقيا الوسطى متجهة الى الشمال مباشرة نحو اوربا وفي تلك الآونة بالذات كانت الطيور المحتجزة في اقفاص التجربة تقفز باتجاه الجزء الشمالي من القفص.

ومن هنا يتضح ان التناسق الحولي في ذات الطائر يمكنه من التحكم في اتجاه الهجرة، وكذلك في بدايتها، وفي التحول الوقتي الذي يجري خلالها. وهذه التجارب، التي استغرقت نحو عقدين من الزمن، تؤكد أن التحكم في الهجرة أمر حسي في ذات الطائر. ومع هذا لا يمكن القول بأن التناسق الحولي يلغي دور المؤثرات الخارجية في البيئة، حيث أن هذه المؤثرات يمكن تعديلها بتغيير الفترات الضوئية، او بالخبرة التي تكتسبها الطيور الطليقة من هجرات سابقة.

وقد لوحظ على الطيور الطليقة، والمحتجزة أيضا، انها تقبل على الطعام بنهم قبيل فصل الهجرة. ويبدو أنها تريد التزود بذلك حتى تختزن المزيد من الطاقة لتستعين بها في رحلتها الشاقة الطويلة. وظهر أن وزن الطيور الطليقة يكاد أن يتضاعف قبيل بدء الهجرة فيزداد وزن الطير الشادي من ١٦ غراما الى نحو ٣٠ غراما، في حين ان وزن الطير المحتجز يربو على ذلك نظرا لوفرة الغذاء في القفص وقلة الجهد المبذول في الحصول عليه. وظهر أيضا أن الدهن الذي ادخره الطير سرعان ما يأخذ في التناقص أثناء رحلته الطويلة.

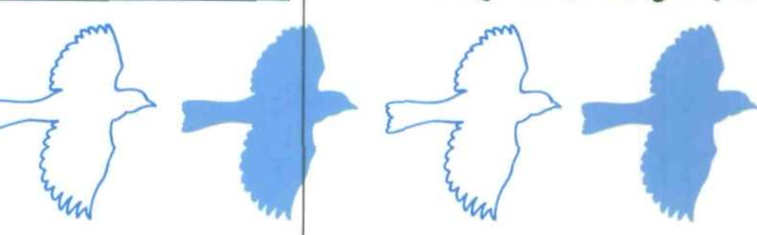
وقد قام احد العلماء باصطياد بعض هذه الطيور المهاجرة، في موقعين في الصحراء الأفريقية، بينما هي في طريقها الى مشتاها. وكان احد هذين الموقعين اصطناعيا زرع فيه العالم بعض الشجيرات في الرمل الصحراوي حيث لا ماء ولا غذاء. وقد اجتذبت الشجيرات بعض الطيور فنزلت لديها. اما المكان الآخر فكان واحة فيها الكثير من الماء والخضرة والحشرات التي تتغذى عليها الطيور. وفي كلا الموقعين اصطاد بعض الطيور ووزنها وربط عليها اربطة خاصة واطلقها. كما عاد واصطاد بعض هذه الطيور ذات الرباط ووزنها ثانية. وقد ظهر له أن الطيور التي نزلت في الموقع الجدب قد ارتحلت في مساء اليوم الذي وصلت فيه. اما في الموقع الخصب فقد مكث عدد كبير منها اكثر من يوم. وظهر أيضا ان الطيور التي مكثت أكثر من يوم كانت تلك التي قد نضب مخزونها من الدهن لدى وصولها الى الموقع، وكأنها مكثت لتتزود بالطاقة.

وقد توحي نتيجة هذه التجربة الى أن نضوب الدهن المختزن ووجود فرصة لتجديده تمنع الطائر من الاستمرار في الرحلة. وقد اكدت تجارب المختبر أيا من هذين العاملين لا يكفي لتوقف الطير عن الاستمرار في رحلته، وانما يجب توفر العاملين في وقت معا. وعندما يتحقق للطائر الوزن الأدنى المحدد يعود الحافز للظهور ثانية ويغادر المكان. كذلك ظهر أن للمؤثرات الخارجية فوائد في تعديل طاقة الحوافز الداخلية في ذات الطائر. ولولا ذلك لهلك الطائر وهو ماض في رحلته، مع نضوب مخزونه من الدهن، بدافع من حافز الهجرة الداخلي الذي لا يرحم. وهكذا أصبح لدى الطائر المهاجر، بتغلبه على حافز الهجرة الداخلي، فرصة لتجديد مخزونه من الدهن قبل مواصله الرحلة. وهذا الاستنتاج الذي توصل اليه العالم شبيه بسلوك الطيور المجربة في هجرتها الحولية، ففي كلا الحالتين يمكن تعديل الحوافز الداخلية تبعا لشروط خارجية محددة.

لقد استغرق الحصول على هذه المعلومات جهد عقدين من الزمن، وقد أصبح واضحا أن التناسق الداخلي في ذات الطائر هو الذي يوفر الاطار العام للسلوك اثناء الهجرة. اما تفاصيل دورة الهجرة فيمكن تعديلها لتستوعب الظروف الخارجية. لكن الباعث الذي يدفع طيور البط والزرزور والفري الى الهجرة يأتي من تناسق حولي اصيل في ذات الطائر □

«بتصرف عن مجلة ساينتفك امريكان»

تهاجر طيور الشادي من موطنها في شمال اوربا في فصل الخريف متجهة الى اسبانيا اولا، ثم الى افريقيا حيث تقضي الشتاء جنوب خط الاستواء. لكنها في رحلة الربيع تتخذ طريقها باتجاه الشمال مباشرة نحو اوربا.





عبدالله السيد شرف / مصر

ترجع نشأة علم الكلام، الى العصر الأموي، وهو عصر (اكتملت له كل الأسباب كي يمرح أهله مرحا بريئا)[1] الا أن الأمر تجاوز الحد، وتخطى دور اللهو المباح.. الى دوامة اللغو المرفوض، والسفسطة الممجوجة، حتى اذا جاء العصر العباسي، كان الأمر قد بلغ منتهاه من الفوضى الفكرية التي فجرتها الفرق المختلفة المضارب والأهواء.. من جبرية، ومرجئة، ومعتزلة بالاضافة الى الاباضية والازارقة.. وغيرهم وكانت من أهم المسائل التي أثيرت بينهم، مسألة حرية الارادة.. وهل الانسان حر مختار في أفعاله.. أو هو مجبر.. مسير.

ولو توقف الأمر على الرغبة في الوصول الى الحقيقة لهان الأمر.. ولكن كان التعصب الفكري والاعتزاز بالرأي هما السبيلان الموصلان الى الاغراض الدنيوية التي كان يرتجيها اصحاب المذاهب من زعامة دينية، أو تملق للحكام الذين رضوا عن هذا الاختلاف وراقهم مذهب القدرية، لأنه يصرف الناس عن التفكير في ولايتهم، وتدبيرهم لشئونهم، مؤمنين بأن خلافتهم قدر مقدور، يجب عليهم التسليم به، ومن ثم نرى شعراءهم يرددون هذه الفكرة طويلا على شاكلة قول جرير يمدح عبدالملك بن مروان:

الله طوقك الخلافة والهدى
والله ليس لما قضى تبديل[2]

١ — العصر الاسلامي. د. شوقي ضيف. ص١٤٢.

٢ — السابق ص ٢٠٥.

ولم يكن العصر العباسي بأحسن حال من سابقه، فقد كثرت التساؤلات التي لا تنتهي الى يقين.. وقد تنبه الشاعر زيد بن جندب لهذه الضجة الجوفاء، التي بلبلت الأفكار.. فراح يصرخ قائلا:

كنا أناسا على دين ففرقنـا
طول الجدال وخلط الجد باللعب
ما كان أغنـى رجالا ضل سعيهم
عن الجدال وأغناهـم عن الخطب

إلا انها للأسف.. كانت صرخة في واد.. ودعوة صادقة لو أنها صادفت آذانا صاغية، لكن الأمر ازداد سخفا، (وراجت الفلسفة.. ونسى الناس انه لا ينبغي أن تخدع بما يسمى مقولات فلسفية.. لأن الفلسفة اذا بعدت عن متطلبات الحياة والواقع المعيشي أصبحت كلاما)[٣] .. ويعد من هذا الكلام مسألة الجبر والاختيار والتي بسببها انشق ابو الحسن الاشعري عن المعتزلة وانبرى للرد عليهم.. وذكر فضائحهم.. ومعايبهم.. فقد ذكر (أن أبا الحسن الأشعري سأل استاذه أبا علي الجبائي عن ثلاثة إخوة، أحدهم كان مؤمنا برا تقيا، والثاني كان كافرا فاسقا شقيا، والثالث كان صغيرا.. فماتوا.. فكيف حالهم؟.. فقال الجبائي.. أما الزاهد ففي الدرجات، وأما الكافر ففي الدركات، وأما الصغير فمن أهل السلامة! فقال الأشعري: إن أراد الصغير الى درجات الزاهد.. هل يؤذن له؟.. فقال الجبائي.. لا.. لانه يقال له.. إن أخاك انما وصل الى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات.. فقال الأشعري.. فان قال ذلك الصغير.. التقصير ليس مني.. فإنك ما أبقيتني.. ولا أقدرتني على الطاعة فقال الجبائي.. يقول الباري جل وعلا كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت وصرت مستحقا للعذاب الأليم فراعيت مصلحتك. فقال الأشعري.. فلو قال الأخ الكافر. يا إله العالمين.. كما علمت حاله فقد علمت حالي.. فلم راعيت مصلحته دوني؟.. فقال الجبائي للأشعري: إنك مجنون، فقال — الأشعري — لا.. بل وقف حمار الشيخ في العقبة!)[٤].

والمحاورة في شكلها هذا.. تأخذ صفة العناد. والتحدي.. فالأشعري يصر على إحراج استاذه، بهذه الأسئلة الفرضية المرفوضة.. كما أن الجبائي لم يستطع أن يجيب على تلميذه بما يفحمه ويسد عليه الطريق.. ولنا أن نقول.. من الذي سيمنح لهذا — الفاسق — الاذن بالمجادلة يوم العرض، وهو اليوم الذي لا يتكلم فيه — الا من أذن له الرحمن وقال صوابا —؟ وأي صواب يقوله الانسان الماجن المستهتر لرب العباد.. وأي حجة يتكيء عليها في هذا اليوم العظيم، الذي لا ينطق فيه المكذبون.. — ولا يؤذن لهم.. فيعتذرون — !

لقد خلق الله الانسان.. وزوده بالعقل الذي يستطيع به أن يميز بين الطيب.. والخبيث.. بين الصواب والخطأ.. ولهذا.. فللعقل في الشريعة الاسلامية مكانة سامية.. ومنزلة عليا، وقد دعا المولى جل شأنه، عباده أن يشغلوا عقلهم بالتفكير. والتأمل في مخلوقات الله عسى أن يهتدوا.. وكثرت الآيات التي تدعو الى هذا.. — أفلا ينظرون.. أفلا يتفكرون.. أفلا يعقلون — وفي حديث روي عن رسول الله ﷺ أنه قال **(أول ما خلق الله.. العقل.. قال له أقبل.. فأقبل.. ثم قال له أدبر.. فأدبر.. ثم قال. وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك.. بك آخذ.. وبك أعطي.. وبك أثيب وبك أعاقب)**[٥] و(عن عائشة رضي الله عنها. قالت.. قلت يا رسول الله بأي شيء يتفاضل الناس في الدنيا؟.. قال بالعقل.. قلت وفي الآخرة.. قال بالعقل.. قلت.. أليس إنما يجزون بأعمالهم؟.. فقال يا عائشة.. وهل عملوا الا بقدر ما أعطاهم الله تعالى من العقل.. فبقدر ما أعطوا من العقل.. كانت أعمالهم.. وبقدر ما عملوا يجزون)[٦]. ورحمة من الله بخلقه.. لم يترك الأمر بين يدي العقل وحده يسير صاحبه أنى شاء.. بل أرسل الرسل مبشرين ومنذرين.. ليوضحوا طريق النجاه.. وطرق الضلال.. بل — رحمة منه — اشترط على نفسه — تكرما — **«وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا»**، بعد هذا ترك الحرية للجميع.. هذا هو الحلال فاقبس منه ما تشاء.. وهذا هو الحرام فاغرف منه ما تريد.. لا تثريب عليك ولا لوم.. لكن في الآخرة يكون الحساب.. الحرية مكفولة للجميع لكنها حرية في اطار ديني بغية الوصول الى الأفضل.. وليست حرية «سارترية» تبيح للعقل وحده فعل كل شيء. ويقول قائل.. لقد كتب الله علي هذا.. ونقول له.. وما أدراك.. هل اطلعت على الغيب أو علمت مراده — جل شأنه —؟.. ان ما صنعته بنفسك.. من نفسك.. **«ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم»**.. فلم التمسك بهذه الحجج الواهية التي ان جازت علينا فهي مرفوضة تماما يوم الحشر العظيم.. ان شأن المتشدق بالجبر والاختيار كشأن مبدل العدوان عند علماء النفس.. فهم يقولون «ابدال العدوان من

٣ — السابق ص ٢٣.
٤ — وفيات الأعيان — ابن خلكان ٣٩٨/٣

٥ — نهاية الارب — النويري ٢٣٠/٣.
٦ — السابق ٢٣١/٣.

الحيل النفسية التي يلجأ اليها الفرد هروبا من مواجهة النفس ومحاسبتها.. وبدلا من أن يواجه نفسه، ويوجه اللوم والعدوان اليها فإنه يعمل على تحويل هذا العدوان الى أشياء، أو أفراد ليس لهم علاقة.. ولم يكونوا سببا فيما يعانيه من فشل.. أو احباط »[٧].
ولهذا.. فنحن نرى أن الذي يردد هذه المقولة غارق حتى أذنيه في الآثام والزلل.. ولو أنه اتجه الى الطريق السوي.. وترك هذه السفسطة البلهاء.. لأعانه الله على قهر الشيطان وأعوانه.

والتأمل في القرآن الكريم.. يجد عجبا من آيات غاية في الدقة والجمال.. فعند ذكر الجنة.. وذكر الداخلين من أبوابها.. نجد الأدب الرباني يعزي دخولها لفعل أصحابها تكرما منه بلا منّ على عباده الصالحين وهو أحق به. فنجد الآيات كلها تقول — «**جزاء بما كنتم تعملون.. ادخلوها بما صبرتم فنعم أجر العاملين.. ونودوا أن تلكم الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون**».. وفي سورة الأعراف.. يقول المولى جل شأنه — «**ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار، أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا.. فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا**» ؟ —.. والمتأمل في هذه الآية يرى أن الضمير — نا — ألصق بأصحاب الجنة بينما لا نجده عند الاشارة الى أصحاب النار.. وهذا من جماليات القرآن.. ولو ألصق الضمير بأصحاب النار عند الاشارة اليهم — فقيل — ما وعدكم — لكان هناك شبهة في وجود حكم مسبق من الله على ادخال هؤلاء بعينهم النار.. ورغم هذا كله نجد من يصرح في تبجح بأننا مكرهون!.. اي اكراه هذا ونحن نعلم أن المكره لا يجزى عن عمله — «**الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان**» —.. كما أن علم الله لا يحد وهيهات أن يقاس بعلم البشر.. فلو أن أحدنا عمل في حقل التدريس، لاستطاع أن يعرف من خلال مشاهداته أي الطلاب سيفوز بالنجاح.. وأيهم يبوء بالفشل. هذا علم البشر من واقع رؤيتهم البشرية.. فما ظنك بخالق الكون ومن فيه! وما دام الغيب مجهولا لنا.. فلماذا لا نلتزم الطريق السوي ونبتعد عن طرقات الضلال.. أم أن الأمر لا يعدو سوى طنطنة جوفاء، وغطرسة حمقاء، وتغافل عن الحق.

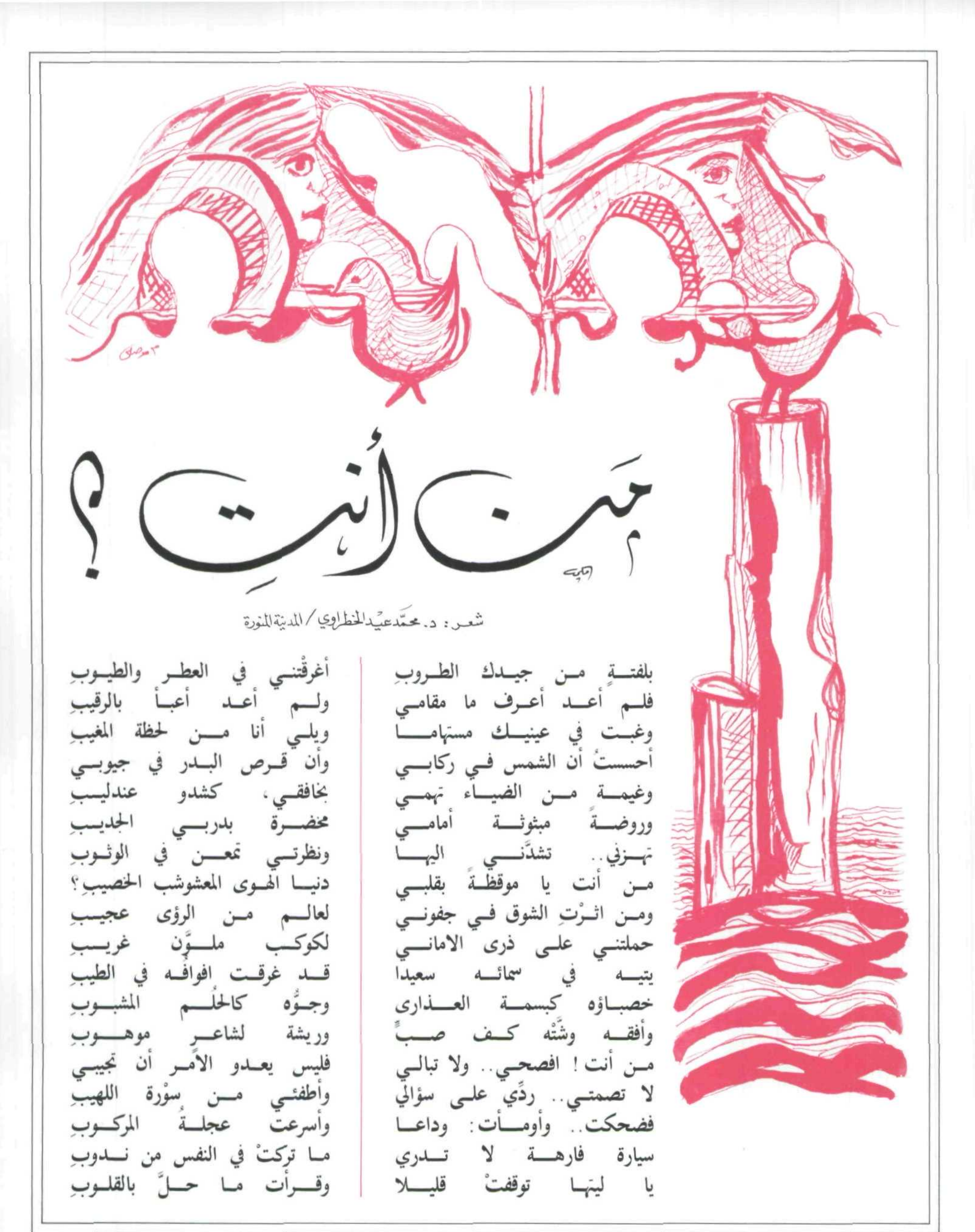
سئل محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب — رضي الله عنهم — عن الجبر والاختيار، فقال: ان الله ارحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم عليهم.. والله أعز من أن يريد أمرا فلا يكون.

وقد سئل جعفر الصادق نفس السؤال فقال — إن الله تعالى أراد بنا شيئا،.. وأراد منا شيئا، فما أراده بنا طواه عنا، وما أراده منا أظهره لنا، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا.. عما أراده منا؟ وهي اجابة طيبة لا لبس فيها ولا غموض.. فلماذا ننشغل حقا بما لا يفيد.. ولماذا نقحم أنفسنا فيما لا طائل من وراءه.. وكيف يتصور الانسان أنه ند لرب العزة.. وكيف يتطاول ويقول له لم خلقت هذا.. ولماذا كان هذا.. ولم يكن ذاك.. إن المؤمن السوي لا يشغل نفسه بمثل هذه الأمور التي تضعف الايمان وتبلبل الأفكار.. ولهذا فقد نهى رسول الله ﷺ عن الألاغيط.. ولهذا أيضا نجد الائمة تمتنع من اطلاق القول باثبات الجبر أو نفيه لأنه بدعة يتناول حقا وباطلا، فلم نحوم حول الحمى اذن؟.. ومن الاجابات الجميلة — ايضا — ما نسب الى الامام الشافعي رضي الله عنه فقد «روى ان ابليس سأل الامام الشافعي.. ما قولك فيمن خلقني كما اختار، واستعملني فيما اختار، وبعد ذلك ان شاء ادخلني الجنة.. وان شاء ادخلني النار.. أعدل في ذلك أم جار؟.. فنظر الشافعي في كلامه ثم قال: يا هذا.. ان كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك.. وان خلقك لما يريده هو فلا يسأل عما يفعل!.. فاضمحل ابليس الى أن صار لا شيء»[٨].

وتفكر ابن العربي في هذه المسألة.. وروى عنه «قلت سيدي ومولاي.. اذا كان الكل منك واليك.. كان التكليف فعل يا من لا يفعل! فقيل لي — اذا أمرناك بأمر فاقبله ولا تحاقق فان حضرة الأدب لا تسع المحاققة.. فقلت يا سيدي.. هو نفس ما نحن فيه.. فإن كنت قد قضيت علي بالأدب أو بالمحاققة فلا خروج لي من قضائك!.. فقيل لي. لن نوجدك الا على ما علمنا.. ولم نعلمك الا على ما أنت ولنا الحجة البالغة[٩]
واذا كان استاذنا محمد الغزالي يرى أن أحاديث ابن العربي في الفتوحات المكية مجرد تهويمات، فان ما يعنينا هنا، هذا التخريج اللطيف فقط. وقد سقنا هذه الاحاديث السلفية ليعلم الكل، أنهم آثروا الا ينخرطوا في هذه الترهات الفكرية، مؤثرين الانصراف الى ما يفيد وترك ما لا يفيد.. ويقول حول هذه المسألة عالمنا الجليل محمد متولي الشعراوي (الاكراه ان يحملك على ما لا تختار، فما دام يكرهك بمعنى يحملك على ما لا تختار فلا يكون عقاب.. ثم يضيف قائلا — أروني واحدا من الذين امتحنوا في الثانوية تأخر عن موعد الحصة الأولى من الامتحان مهما كانت المسافة في المواصلات بعيدة؟ — لماذا رتب أموره هكذا بحيث وقع على ما يختار؟ لكن اذا قيل له صل.. أو أعمل خيرا ما.. يقول لك القدر تدخل.. لماذا لم يتدخل القدر الا في الأمور المطلوبة تكليفا، وفي أمور دنياه ترتب تلك الأمور ولا يتدخل القدر)؟[١٠] □

٧ — الحيل النفسية (مقال) د. علي أحمد علي مجلة العربي العدد ١٠٩ ص٦٤.

٨ — مكاشفة القلوب. الامام الغزالي ص ٤٠.
٩ — تنوير القلوب ص ١٠٥.
١٠ — الانسان مسير أو مخير. محمد متولي الشعراوي ص ٤٧ — ٤٨.



مَن أنتِ ؟

شعر : د. محمّد عيد الخطراوي / المدينة المنورة

بلفتةٍ من جيدك الطروبِ
فلم أعد أعرف ما مقامي
وغبت في عينيك مستهاما
أحسستُ أن الشمس في ركابي
وغيمةٌ من الضياء تهمي
وروضةً مبثوثة أمامي
تهزني.. تشدّني اليها
من أنت يا موقظةً بقلبي
ومن اثرْتِ الشوق في جفوني
حملتني على ذرى الأماني
يتيه في سمائه سعيدا
خصباؤه كبسمة العذارى
وأفقه وشّتْه كف صبٍّ
من أنت ! افصحي.. ولا تبالي
لا تصمتي.. ردّي على سؤالي
فضحكت.. وأومأت: وداعا
سيارة فارهة لا تدري
يا ليتها توقفتْ قليلا

أغرقْتني في العطر والطيوبِ
ولم أعد أعبأ بالرقيبِ
ويلي أنا من لحظة المغيبِ
وأن قرص البدر في جيوبي
بخافقي، كشدو عندليبِ
مخضرة بدربي الجديبِ
ونظرتي تمعن في الوثوبِ
دنيا الهوى المعشوشب الخصيبِ؟
لعالم من الرؤى عجيبِ
لكوكب ملوَّن غريبِ
قد غرقت افوافه في الطيبِ
وجوُّه كالحلُم المشبوبِ
وريشة لشاعرٍ موهوبِ
فليس يعدو الأمر أن تجيبي
وأطفئي من سوْرة اللهيبِ
وأسرعت عجلةُ المركوبِ
ما تركتْ في النفس من ندوبِ
وقرأت ما حلَّ بالقلوبِ

الدمام - الخبر - الظهران
التوائم الثلاثة

(٣)

يوسف خالد ابو شيت / هيئة التحرير

استعرضنا في العدد الفائت النشأة التاريخية لهذه المدن الثلاث، والانجازات التي تحققت في شتى المجالات الى جانب التطور الذي شهدته المسيرة التعليمية في هذه المدن. وسنتناول في مقالنا هذا الأماكن الأثرية والحركة الأدبية والصناعية والرعاية الصحية والمواصلات والخدمات الاجتماعية العامة الى غير ذلك من النشاطات التي تعكس مظاهر التقدم والازدهار في هذا الجزء الحيوي من المملكة.

المناطق الأثرية في المنطقة الشرقية:

ثـاج: بلدة قديمة تقع شمال شرق الجزيرة، وتبعد حاليا نحو ٧٥ كيلومترا جنوب غرب مدينة النعيرية، و٢٠ كيلومترا شرقي قرية الصرار، وهي اليوم هجرة تقطنها قبيلة العوازم. وكانت ثاج مركزا مهما لطرق القوافل التجارية القديمة، وهي تقع على طريق الكنهري الذي كان يربط مدن شرق الجزيرة بوسطها وجنوبها، ومنها الى بلاد الشام والعراق. وتعتبر ثاج حاليا موقعا أثريا هاما، حيث عرف من خلال الحفريات التي اجريت فيها انها تعود الى الألف الأول قبل الميلاد. وقد عثر فيها على كتابات بخط المسند، كما عثر على شواهد قبور تتزامن مع فترة ازدهار تجارة التوابل والبخور بين الهند والجزيرة العربية. وبالاضافة الى ذلك فقد عثر على شواهد حضارية تدل على استمرارية الاستيطان الحضاري في بلدة «ثاج» في العصور الاغريقية والرومانية. ويعود تاريخ قرية ثاج الى ٥٠٠ سنة قبل الميلاد. «وقد زارتها البعثة الدانماركية عام ١٣٨٨هـ وأجرت مجسات اثرية بها. والمنطقة التاريخية فيها محاطة بسور طوله حوالي ٩٠٠ متر وعرضه حوالي ٦٠٠ متر. وقد عملت الادارة العامة للآثار والمتاحف خارطة متكاملة عن قرية ثاج، وثقت بها جميع التلال الاثرية وحددت موقعا خاصا لأعمال الحفريات التي أجريت فيها خلال العامين ١٤٠٣ و١٤٠٤هـ[1]».

جنوب الظهران:

وهي منطقة تقع جنوب مطار الظهران الدولي وتمتد الى منطقة عين السيح، وتعتبر من أهم المواقع الموجودة في المنطقة الشرقية، حيث كانت مركزا تجاريا قديما اذ هناك تشابه أثري مع مواقع أثرية في جزيرة البحرين. وقد اجرت الادارة العامة للآثار والمتاحف في هذه المنطقة حفريات ركزت على كشف المدافن وتبين الشواهد والأختام التي عثر عليها في جنوب الظهران، انها تعود الى الفترة التاريخية المعروفة بحضارة الاكاديين «من ٢٢٠٠ الى ٢١٠٠» سنة قبل الميلاد، وحضارة العصر البابلي القديم «١٧٠٠ الى ١٦٠٠» سنة قبل الميلاد وحضارة الكيشيين من «١٦٠٠ الى ١٣٠٠» سنة قبل الميلاد. وتماثل شواهد هذه الحضارة الأخيرة مع ما وجد من آثار في جزيرة «فيلكا» بالكويت وقلعة البحرين الكثير عن سر الحضارات القديمة. وقد دلت الاكتشافات التي أجريت في منطقة جنوب الظهران على أنها تحتوي على ٩٠٠ تل أثري. كما عثر في احد المناطق الثلاث على ٤٢ مدفنا، وآثار وابراج وحجرات متعددة.

جـاوان:

نسبت هذه المنطقة الى اسم الضريح الموجود فيها،

(١) جريدة اليوم، العدد ٤٧٣٥ الصادر في ٢٥ رمضان ١٤٠٦هـ.

والذي يعود الى القرن الأول الميلادي أي الفترة الهلينية، وهي الفترة المتأخرة من العهد الاغريقي. وتبعد منطقة جاوان مسافة كيلومترين تقريبا شمال مدينة صفوى وقد اجرت فيه الادارة العامة للمتاحف والآثار مجسات أثرية قبل بضع سنين، وعثرت على آثار لبعض الهياكل العظمية وحلي ذهبية متنوعة. وهذا النوع من الأضرحة يدل على نوع من أنواع البناء التي اعتمدت في الفترة المتقدمة من ميلاد المسيح عليه السلام.

قلعة تاروت:

تحتل هذه القلعة موقعا أثريا هاما يعود الى الألف الثالث قبل الميلاد، ويتدرج تاريخيا الى فترات ما قبل الاسلام، وفجر الاسلام. ولدى ترميم القلعة البرتغالية، التي بنيت سنة ٩٢٧هـ، تبين من الطبقات الأثرية انها تتزامن مع فترات متأخرة للفترات الاسلامية، والفترة الاغريقية الأخيرة.

مواقع الجبيل:

قامت الادارة العامة للمتاحف والآثار بتحديد المواقع الأثرية في الجبيل، وسورتها لحمايتها، وأصبحت من المعالم السياحية، وهي: «جزيرة الباطنة»، و«سبخة مرير» في شمال الجبيل، و«الدوسرية» وتقع جنوب الجبيل واجريت فيها دراسة عن مواقع حضارة العُبيد، وهو أول موقع عبيدي اكتشف في المملكة عام ١٩٦٨. و«رأس الزور» بجنوب الجبيل ويعتبر منطقة أثرية مهمة متصلة بعضها بالبعض الآخر حيث تصل الى منطقة الخفجي على طول الساحل.

عين دار:

يعتبر معظم منطقة عين دار، منطقة أثرية باتجاه الشمال حيث تصل الى منطقة الصرار. والمواقع الأثرية في عين دار تعود الى العصر الحجري المتأخر، والذي يتزامن قليلا مع الفترة الانتقالية الى العصور التاريخية، وهذا يغطي، تقريبا، الفترة من الألف العاشر الى الألف الخامس قبل الميلاد.

مواقع جنوب بقيق:

وهي عبارة عن مدافن قديمة موجودة على مرتفع صخري يقع جنوب منجم الملح ببقيق. وتعود هذه المدافن الى العصر البرونزي (الألف الثالث قبل الميلاد)، وهي تماثل والمدافن التي اكتشفت في سلطنة عمان بمنطقة «حفيت». كما تتزامن تاريخيا مع المدافن التي اكتشفت في دولة الامارات العربية المتحدة. وقد عثر في بعض هذه المدافن على أدوات وقطع للزينة.

مواقع الاحساء:

وهي مناطق أثرية هامة تقع في مدينة «العيون»، وقرية «المحترقة»، و«عين قناص».

الخدمات الصحية:

«الصحة تاج على رؤوس الاصحاء»، «حصيرة بالية تنام عليها وأنت صحيح، خير من سرير ذهبي تلقى عليه وأنت مريض.» «من عني بصحته في شبابه لم يدركه الهرم ولو عاش مائة عام»... كثيرة تلك هي الأقوال والحكم التي تتحدث عن أهمية المحافظة على الصحة باتباع طرق الوقاية السليمة. وفي هذا العام اتخذ الاسبوع الصحي العالمي الرابع شعاره «الحياة الصحية فوز للجميع»، وذلك انطلاقا من أهمية الدور الذي تلعبه التوعية الصحية في المحافظة على صحة الانسان. أوكما قال الدكتور سامي محمد الصقير، مدير عام الشؤون الصحية بالمنطقة الشرقية، اثناء لقائنا به: «ان الشعار المطروح هذا العام لا يقتصر على فئة معينة ولا يخاطب مستوى معينا أو عمرا محددا، وانما يتصف بالشمول والسعة والعمق ليغطي جوانب المجتمع عمقا واتساعا، ويتمحور حوله كل ما يتصل بصحة الفرد في مجتمعه».

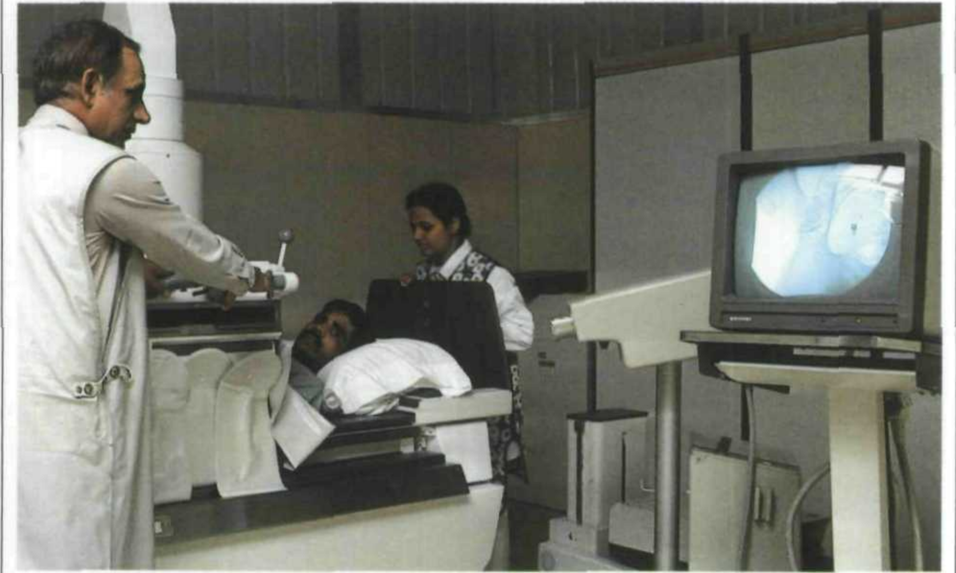


الدكتور سامي محمد الصقير، مدير عام الشؤون الصحية بالمنطقة الشرقية يتحدث عن أهم أعمال الشؤون الصحية بالمنطقة وعن أهمية أسبوع الصحة العالمي الذي يحتفل به سنويا.

ولكون مدن الدمام والخبر والظهران من مدن المنطقة الشرقية التي تحتل مواقع بالغة الأهمية، من حيث الامتداد الجغرافي المطل على ضفاف الخليج، والتي حباها الله بثروة البترول، ازدهرت هذه المدن وتطورت وكان لا بد للخدمات الطبية من مواكبة ذلك التطور والامتداد العمراني، فأقيمت المرافق الاساسية اللازمة لذلك. ومن هنا، أنشأت المديرية العامة للشؤون الصحية بالمنطقة الشرقية العديد من المستشفيات والمراكز الصحية والتخصصية في المدن الثلاث، وكذلك انشئت بعض المستشفيات الخاصة.

المستشفيات الحكومية:

* **مستشفى الدمام المركزي**: بدأ العمل فيه في شعبان ١٣٨٣هـ، ويضم حاليا حوالي ٤٤٢ سريرا. ويتبع هذا المستشفى عدة أقسام ووحدات، كالطب الوقائي، ومركز مكافحة الاسهال، مراقبة السموم، والمختبرات، والطب العلاجي الذي يشتمل على ١٤ مركزا صحيا في الدمام و٨ مراكز في الخبر والظهران، أما العيادات فمتعددة، منها عيادة مرضى السكري، وعيادة الكلى الصناعية، وعيادة مكافحة التدخين التي حققت نتائج ايجابية في عملها رغم عمرها القصير الذي بدأ في عام ١٤٠٤هـ. كما يتبع المستشفى مركز للبحوث يتولى دراسة الامراض السارية وصحة البيئة، والصحة النفسية، والوعي الصحي بين المواطنين. وتتولى الصحة المهنية مهمة مراقبة اجراءات السلامة في المناطق الصناعية وتوجيه الارشاد. وتقوم صحة البيئة بمراقبة التلوث والعدوى وفحص عينات المياه ومرافق متعددة أخرى لها علاقة مباشرة بالمواطن وصحته.



جهزت وزارة الصحة كافة المستشفيات الحكومية بالمعدات والأجهزة الحديثة المتطورة لرفع كفاءة خدماتها الطبية.

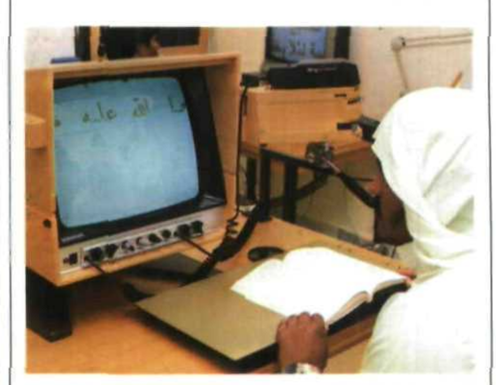


الدكتور محمد عبدالرحمن المحرج، مدير مستشفى الخبر الحكومي، يتحدث عن المستشفى ودوره الحيوي في مجال الخدمات الطبية.



قسم العناية بحديثي الولادة في مستشفى الملك فهد الجامعي بالخبر، حيث يلقى الرضع والأطفال عناية فائقة. الجدير بالذكر أن هذا المستشفى يضم أجهزة حديثة للكشف الطبي.

• **مستشفى الخبر الحكومي**: وتغطي خدماته نسبة كبيرة من سكان منطقة الخبر، وقد تمت توسعته بادخال اصلاحات جذرية على سائر مبانيه، فأصبح بناء كاملا يضم عيادات خارجية فقط. وتبعا لذلك، زادت نسبة الموظفين والاداريين والفنيين فيه خلال هذا العام. وحول الدور الذي يؤديه هذا المستشفى والمراكز الصحية التابعة له في تقديم الخدمات الى المواطنين والمقيمين قال الدكتور محمد عبدالرحمن المحرج، مدير المستشفى: «نظرا لزيادة كفاءة عمل المستشفى والمراكز التابعة له. فقد تم افتتاح مركزين صحيين في الخبر الشمالية والثقبة الجنوبية، وبذلك يصبح عدد المراكز الصحية التابعة للمستشفى ٧ مراكز». وهذه المراكز هي: مركز الخبر الجنوبية، ومركز الخبر الشمالية، ومركز الثقبة الشمالية، ومركز الثقبة الجنوبية، ومركز الظهران، ومركز الراكة، ومحجر ميناء الخبر.



تقدم عيادة تقويم البصر بالظهران تدريبا عمليا ونظريا لمرضى ضعف البصر. ويرى في الصورة احد المرضى يستخدم جهازا حديثا لمساعدته على القراءة بشكل واضح.

• **مستشفى الولادة والأطفال بالدمام:**

ويضم ٣٠٠ سرير للولادة والاطفال، وقد افتتح في عام ١٤٠٤هـ، وهو من المستشفيات الحديثة التي حرصت المديرية العامة للشئون الصحية على انشائها في المنطقة لتوفير أفضل الخدمات الصحية للمواطنين.

• **مستشفى الظهران العـــام:**

وتبلغ طاقته القصوى ٣٠٠ سرير. وقد بدأ العمل به في عام ١٤٠٤هـ.

• **مستشفى الملك فهد الجامعي بالخبر:**

أرقى المستشفيات الجامعية التعليمية وأحدثها تجهيزا، ومن أهم مراكز تدريب الاطباء في مرحلة العلوم السريرية. ويضم حوالي ٣٨٠ سريرا. ويعتبر مستشفى تخصصيا. وهو يتبع اداريا جامعة الملك فيصل بالدمام.



جانب من اجزاء مستشفى المانع بالخبر.



من المعدات المستخدمة حديثا في بعض المستشفيات بالمنطقة، هذا الجهاز الخاص بالكشف عن مرض الايدز في الدم.

المستشفيات الخاصة:

شجعت وزارة الصحة رجال الأعمال انشاء المستشفيات والمراكز والمستوصفات الطبية الخاصة، وذلك للاسهام في دفع المسيرة الصحية الى الأمام. وقد افتتح عدد من هذه المراكز الصحية في كل من الدمام والخبر والظهران، ومن أبرزها:

مستشفى عبدالله فؤاد في مدينة الدمام ويضم ٣٠٨ أسرة، ومستشفى المانع ويضم ٢٥٠ سريرا، ومستشفى الدكتور محمد فخري ويتسع لـ ٣٢٠ سريرا ومستشفى السلامة ويستوعب ١٨٦ سريرا ومستشفى محمد الدوسري (مستشفى الشرق سابقا) ويضم ١١٨ سريرا، وجميعها في مدينة الخبر. ثم مركز التشخيص والمعالجة بالظهران ويتسع لـ ٢٥ سريرا. ومعظم هذه المستشفيات يشتمل على عيادات وأقسام خاصة بالجراحة العامة وجراحة العظام، والمسالك البولية، والعيون والأنف والاذن والحنجرة، وأمراض القلب وأمراض النساء، والولادة والاطفال وأمراض الجلد، والاسنان وغيرها.

مركز الظهران الطبي في ارامكو:

التزمت ارامكو، منذ بدء عملها في المنطقة الشرقية، بتوفير الخدمات الطبية المجانية لموظفيها وافراد عائلاتهم. وفي الظهران انشأت الشركة مستشفى متطورا يضم احدث المعدات الطبية، به نخبة من الاطباء العاملين وذوي الاختصاص. وقد شهدت الخدمات الطبية في ارامكو الكثير من مراحل التحديث والتطور، حتى أصبحت على ما هي عليه اليوم من مرافق حديثة تؤدي الدور الذي تضطلع به تجاه موظفيها.

ويتألف مركز الظهران الطبي من عدة ادارات وأقسام تشمل العيادات، والعمليات الجراحية بأنواعها، والحالات الطارئة، والاشعة، وهو يتسع لـ٣٦٣ سريرا. وتضم العيادات في المركز الطبي الطب العام، والأذن والأنف والحنجرة، والجراحة، والطب الباطني، والولادة وطب النساء، وطب العيون، وطب الاطفال، والطب النفسي، والطب الاشعاعي، وطب العظام، والعلاج الطبيعي، والعلاج المهني، وطب الاسنان. كما يشمل المركز اقساما تضم الطب الوقائي والطب الصناعي، والطب الوبائي، والطب الصحي، والصحة البيئية.

المعاهد الصحية:

تأسس أول معهد صحي للبنين بالمنطقة الشرقية في عام ١٣٨٥هـ في مدينة الهفوف. وفي عام ١٣٨٧هـ انتقل هذا المعهد الى مدينة صفوى، وبقي فيها حتى عام ١٤٠٣هـ حيث انتقل الى مقره الجديد في مدينة الدمام. ويضم المعهد فصولا دراسية ومعامل للفيزياء والكيمياء ودراسة الحشرات ومختبرات. ويخرج المعهد مراقبين ومساعدين صحيين، واخصائيي ومساعدي احصاء، وقد بلغ عددهم خلال السنوات الماضية حوالي ٦٠٠ خريج.

أما المعهد الصحي الثانوي للبنات بالدمام فقد افتتح في عام ١٤٠٣هـ وفيه تتلقى الطالبات العلوم الطبية والانسانية والثقافة الاسلامية، ويؤهلهن لوظائف فنية في مختلف التخصصات الصحية.

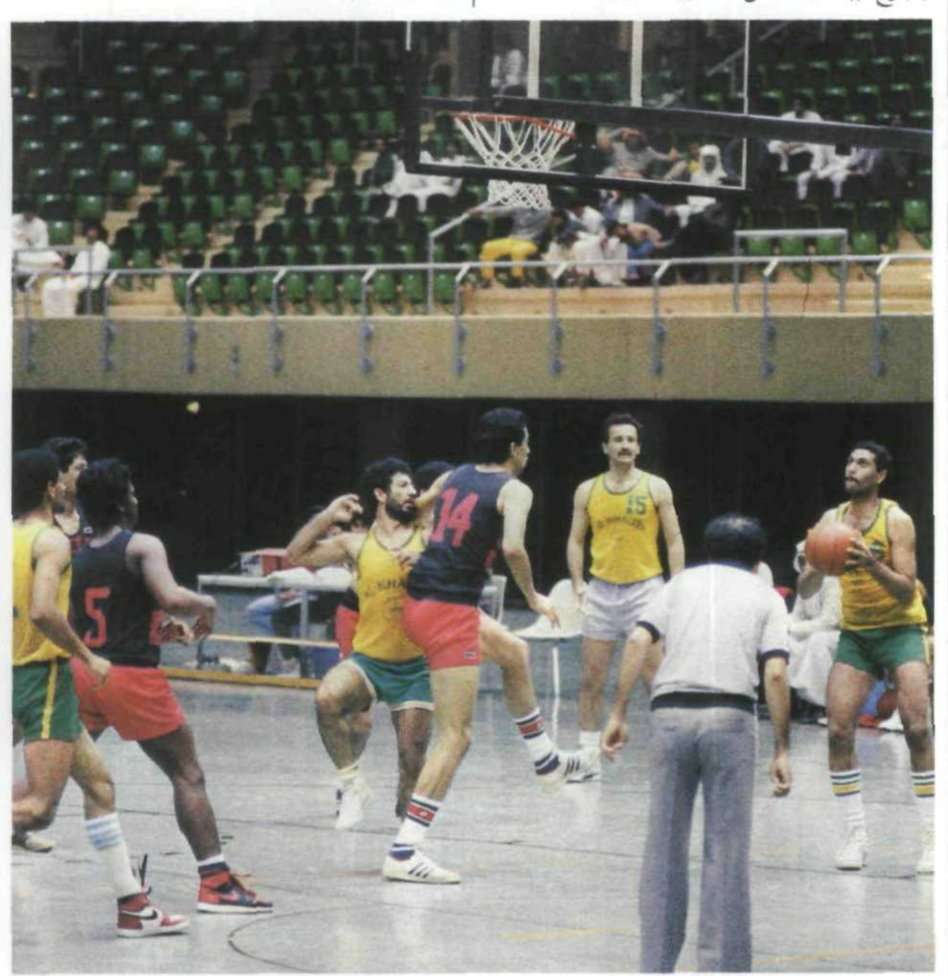


درس نظري في احد فصول المعهد الصحي بالدمام.

رعاية الشباب:

لا تدخر الرئاسة العامة لرعاية الشباب جهدا في سبيل توفير الامكانات اللازمة للأخذ بأيدي الشباب السعودي الى كل ما يحقق طموحاته الثقافية والرياضية في كافة المجالات سواء منها المحلية أو الاقليمية أو الدولية. ومن أجل ذلك، حرصت على انشاء احدث المراكز الرياضية في مختلف مناطق المملكة، واستقدام المتخصصين للنهوض بمختلف الالعاب الرياضية والبلوغ بها الى أفضل المستويات وأرقاها.

ويوجد في المنطقة الشرقية حاليا ٢١ ناديا عدا أندية الاحساء. هذه الأندية مقسمة الى ثلاث فئات أ وب وج، فأندية الفئة (أ) هي أندية الدوري الممتاز لكرة القدم، وفئة (ب) وهي أندية الدرجة الأولى، وفئة (ج) وهي أندية الدرجة الثانية. ومعظم هذه الأندية تمتلك مقرات حديثة تتراوح تكلفتها ما بين ٦٨ مليون و٢٦٠ مليون ريال. وفي الآونة الأخيرة، اقامت الرئاسة العامة لرعاية الشباب منشآت ومرافق رياضية حديثة متعددة.



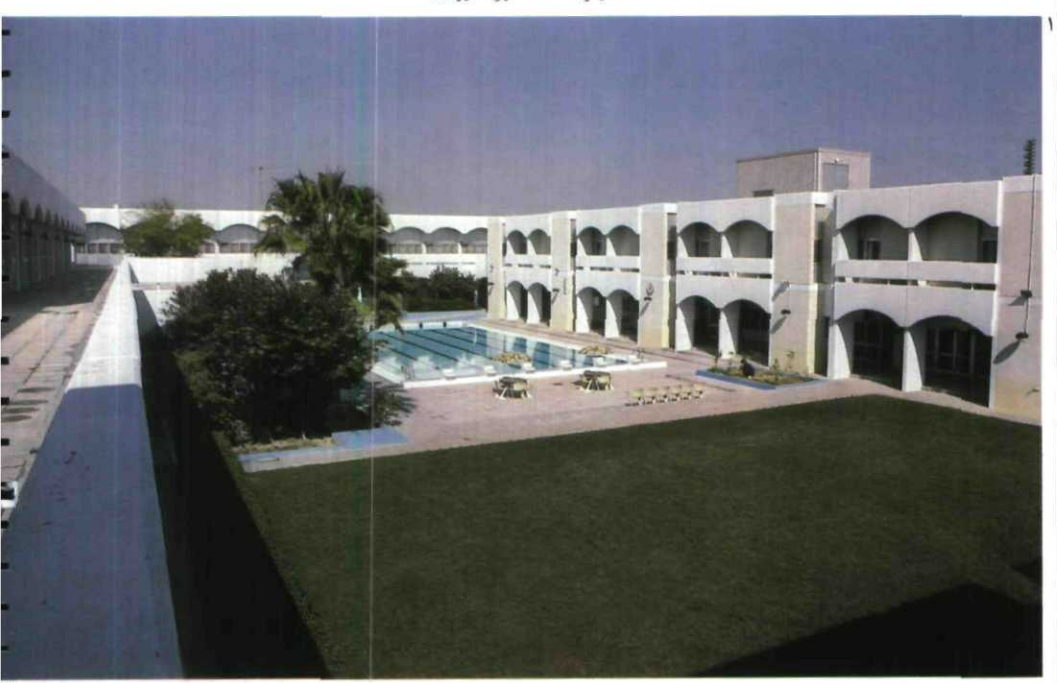
مباراة في كرة السلة بين فريقين متنافسين على ملاعب الصالات الخضر.

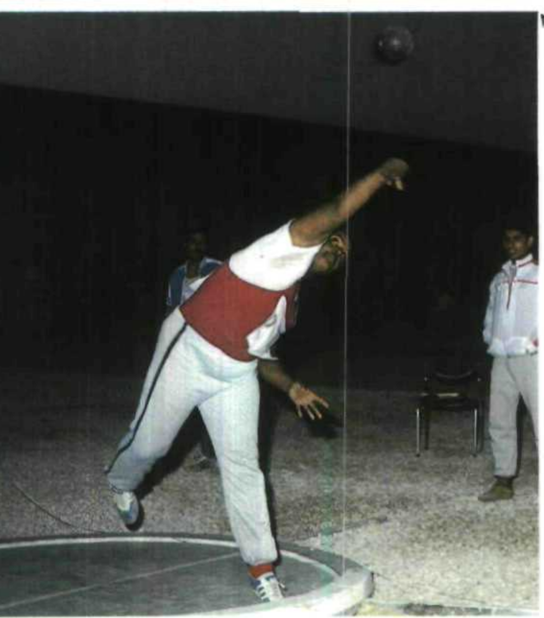


ألعاب القوى وكرة القدم من الألعاب الشعبية المحببة لكثير من الشباب.



بعض الصالات الخضر المقامة على طريق الدمام/الخبر لمزاولة لعبتي كرة السلة والطائرة ومسابقات السباحة. وقد بلغت تكاليف الصالات مجتمعة حوالي ٤٠٠ مليون ريال.







الصالات الخضر:

والى جانب مقار الأندية، أنشأت الرئاسة العامة لرعاية الشباب مبان مغلقة حديثة لمزاولة مسابقات السباحة ولعبتي السلة والطائرة. وقد بلغت تكلفة هذه المباني، والتي يطلق عليها «الصالات الخضر»، حوالي ٤٠٠ مليون ريال، وهي مماثلة للصالات الموجودة في الرياض وجدة.

وهناك استاد رياضي حديث مخصص للعبة كرة القدم، ويقع في منطقة الراكة على طريق الدمام الخبر الساحلي، ويضم مجموعة من المرافق الضرورية للفرق المتبارية. وقد استضاف عددا من الدورات الاقليمية والعربية. كما يوجد في الدمام استاد رياضي آخر لكرة القدم.

بيت الشباب:

قبل خمسة عشر عاما، بدأت الجمعية العربية السعودية لبيوت الشباب تأخذ طريقها الى النور، وسرعان ما أصبحت في عمر الورد لتقوم بدورها المناط بها. وقد أقيمت بيوت الشباب هذه في كل من الرياض والدمام وجدة في عام ١٤٠٠هـ، لتحقق هدفين رئيسيين هما: تنمية ودعم حركة بيوت الشباب في جميع مدن المملكة، وتنمية المعارف لديهم وتشجيعهم على الترحال والاسفار لمعرفة بلادهم والبلاد العربية الشقيقة والبلاد الخارجية الأخرى. وينتشر في انحاء المملكة ١٧ بيتا من بيوت الشباب حيث توفر الاقامة للشباب برسوم رمزية، وتتيح لهم مزاولة مختلف الانشطة والهوايات، وتمكنهم من المشاركة في الرحلات الداخلية والخارجية والمعسكرات التي ينظمها كل بيت لاعضائه.

الجدير بالذكر أن الرئاسة العامة لرعاية الشباب قد اقامت مركزا رياضيا وترفيهيا على شاطيء خليج نصف القمر، يعد والمركز المماثل له في جدة من أحدث المراكز في هذا المضمار في الشرق الأوسط.

*

١ — منظر داخلي لبيت الشباب بالدمام.

٢ — الاستاذ عبدالله فرج الصقر، مدير المكتب الرئيسي لرعاية الشباب بالمنطقة الشرقية، أثناء لقاء «القافلة» به.

٣ — رمي الجلة من الألعاب التي تحتاج الى تدريب وتكوين جسماني خاصين.

٤ — مكتبة كبيرة يرتادها الكثير من الشباب.

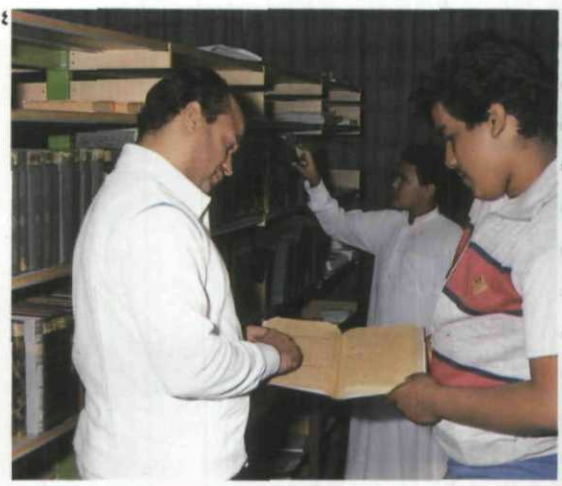
٥ — منظر آخر لاحدى الغرف التابعة لبيت الشباب.

٦ — احد الشباب في قفزة جميلة أثناء اشتراكه في مسابقة القفز العالي.

٧ — خصص الاستاد الرياضي في الراكة لاقامة مباريات كرة القدم في المنطقة.

٨ — رصيف القوارب والرياضات البحرية التي سيمارسها رواد مركز الرياضة والترفيه.

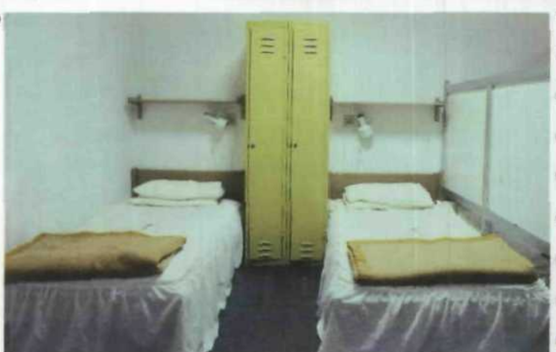
٤



٦



٥



٧



٨

الصناعة في المدن الثلاث:

استطاعت الصناعة في المملكة العربية السعودية بصفة عامة، وفي المنطقة الشرقية (الدمام — الخبر — الظهران) بصفة خاصة، ان تتخذ لها موقعا متقدما في مجال الصناعة في المملكة. واليوم تقوم في الدمام مدينتان صناعيتان: الأولى، وتبلغ مساحتها ٢،٢١٧،٤٤١ مترا مربعا وتضم ٩٧ مصنعا. وهي تقع بين الدمام والخبر. والثانية تضم ٤٦ مصنعا منتجا بالاضافة الى ١٨ مصنعا ما زالت قيد الانشاء. وتبلغ مساحتها الاجمالية ٢٤ مليون متر مربع، وقد انشئت على بعد ٣٥ كيلومترا من الدمام على طريق الظهران/الاحساء.

ونظرا للدعم السخي والرعاية الشاملة التي تتلقاها الصناعة في المملكة، بغية ايجاد قاعدة صناعية متنوعة، تسهم في دفع عجلة الاقتصاد الوطني الى الامام، فقد أقام رجال الأعمال السعوديون عددا كبيرا من المصانع ذات الانتاجية المتعددة، والنوعية الجيدة التي باتت تنافس الكثير من الصناعات المستوردة المثيلة لها، كالمواد الغذائية المختلفة والمواد الخشبية والحديدية من أثاث منازل ومكاتب ومطابخ، ومثاقب حفر، وسخانات المياه، وأنابيب صلب، وكابلات كهربائية، وهياكل سيارات، ومواد بتروكيميائية، كالأصباغ، والمبيدات الحشرية، والمنظفات، والحقن الطبية وغيرها، ومعظم هذه المنتجات يجري تسويقه محليا بينما يصدر الباقي الى بعض دول مجلس التعاون الخليجي.

ولأهمية تعريف المواطنين بمختلف المنتجات المصنعة محليا، فان كثيرا من المصانع المحلية تحرص على المشاركة في عدد من المعارض التي تقام في المنطقة.

*













١ — تنتج الشركة السعودية لأنابيب الصلب المحدودة بالدمام خمسة أنواع من الأنابيب البيض المجلفنة، واربعة أنواع من الأنابيب السود الملحومة ذات الذبذبات الكهربائية العالية التردد.

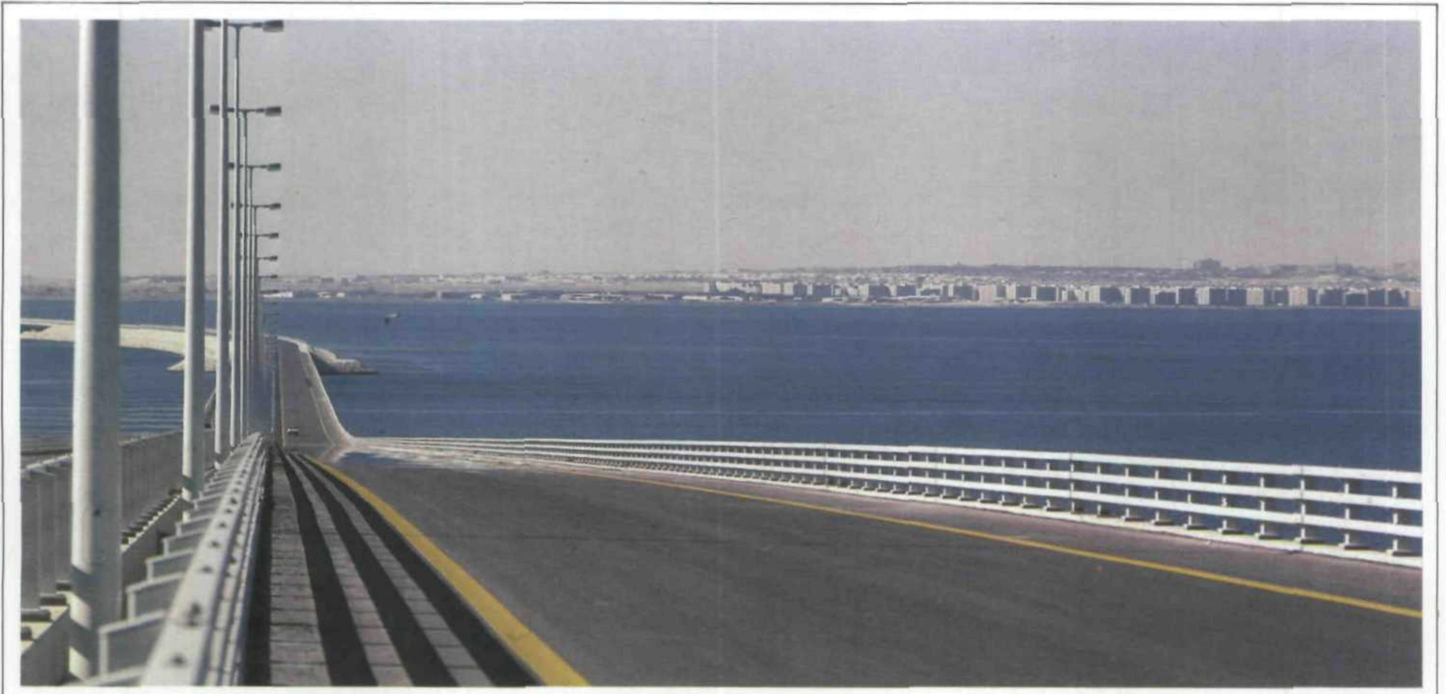
٢ — شركة الأحذية السعودية المحدودة، هي الشركة الوحيدة المصنعة لأحذية السلامة والأحذية العسكرية في المملكة بمقاسات ومواصفات متنوعة.

٣ — الحقن الطبية من انتاج شركة الشفاء المحدودة بالدمام، تبلغ طاقتها الانتاجية ثلاثين مليون حقنة سنويا للاستخدامات الطبية.

٤ — صناعة الأثاث في المملكة من الصناعات الرائجة وذات الجودة العالية. وهذه عينة من انتاج شركة المطلق لصناعة الاثاث.

٥ — صورة لاحدى مراحل الانتاج في مصنع الشركة الوطنية لانتاج عصير الفواكه المحدودة (دانة) بالدمام.

٦ — احتلت شركة أصباغ «همبل» البحرية مكانة مرموقة في المملكة نظرا لاستعمال الأصباغ في شتى أعمال البناء والأعمال الصناعية العامة ووسائل النقل والهياكل الحديدية، وغيرها.



الجسر البحري بين المملكة العربية السعودية ودولة البحرين الشقيقة، يعزز من اواصر الاخوة والقربى والمحبة بين البلدين.

الجسر البحري السعودي البحريني:

من المشاريع المميزة لعام ١٩٨٢ في المملكة العربية السعودية والبحرين، تفضل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وسمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، بوضع حجر الاساس لمشروع الجسر البحري الذي يربط البلدين الشقيقين، في احتفال رسمي حضره قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

ويعتبر الجسر البحري من المشاريع الحيوية الاقتصادية، والذي ستكون له آثار ايجابية ولا شك على اقتصاد البلدين الشقيقين بشكل خاص، وعلى بقية دول الخليج العربية بشكل عام، وذلك من خلال زيادة حجم التبادل التجاري وتنشيط القطاع الاقتصادي والسياحي.

ويعد هذا الجسر[٢]، أطول جسر بحري في العالم حيث يتكون من ثلاثة مسارات باتجاهين متوازيين، والثالث للطوارىء. ويبلغ طوله خمسة وعشرين كيلومترا، ويبدأ في الجانب السعودي من منطقة العزيزية التي تقع جنوب مدينة الخبر، وتبعد عنها نحو ستة كيلومترات. وفي الجانب البحريني، يبدأ الجسر من منطقة الجسرة التي تقع الى الغرب من العاصمة المنامة. ويشتمل الجسر، بشكل عام، على خمسة جسور بطول اثني عشر كيلومترا ونصف الكيلومتر، وسبعة سدود بنفس الطول. وقد استخدم في عملية اقامة الجسور، عوارض اسمنتية جاهزة الصنع، منها ما هو بطول ٣٤ مترا، ومنها ما هو بطول ٦٦ مترا، وبعرض ١١ مترا، وهي مغطاة بطبقتين من الاسفلت يبلغ سمكها ٨٠ مليمترا. ويبلغ عدد أعمدة الجسور ٥٥٥ عمودا، قطر الواحد منها ثلاثة امتار ونصف المتر بعمق اثني عشر مترا. ويتخلل الجسور الخمسة، جسر رئيسي يستخدم كممر ملاحي للسفن التجارية الكبيرة، يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ٣٢ مترا ونصف المتر، وعرضه ١٥٠ مترا. أما السدود التي استخدم في بنائها كميات كبيرة من ركام المحاجر وغطيت بمواد ترشيحية وعازلة، فان اطوالها تتراوح بين ٧٠٠ و٣٦٠٠ متر. وقد أقيم بين البلدين جزيرة اصطناعية مساحتها ٦٦ الف متر مربع تستخدم لاقامة منشآت الجمارك والجوازات والصحة والدفاع المدني وغيرها من المرافق.. ويعتبر جسر البحرين السعودية من السمات الحضارية التي تتمتع بها مدينة الخبر في الوقت الحاضر.

الحركة الأدبية والمؤسسات الصحفية في المدن الثلاث:

تزامنت الحركة الأدبية في هذه المدن مع ظهور صناعة الزيت وتزايد عدد السكان، وذلك على يد مجموعة من المثقفين الذين نزحوا الى المنطقة سعيا وراء الرزق، وتعاونوا مع عدد من أبناء المنطقة لايجاد حركة ثقافية لا تكاد تخرج عن اطر الاتجاهات الادبية المختلفة في المملكة والخليج العربي، وحول هذا الموضوع يحدثنا الاستاذ عبدالله احمد الشباط، وهو من الأدباء الاوائل الذين اسهموا في تطوير الحركة الادبية والفكرية في المنطقة الشرقية ودفع مسيرتها حيث، يقول: «منذ أن تفجر البترول في هذه المنطقة، تفجرت معه طاقات مهنية واقتصادية اجتذبت اليها العديد من الباحثين عن العمل وعن المستقبل. وكان من بين هؤلاء الوافدين أدباء وشعراء ومفكرون.. اضافة الى بعض من الأدباء والمثقفين في الاحساء والقطيف آنذاك.. ولقد أثرى أولئك الوافدون الحياة الفكرية، وانعشوها بآرائهم واقلامهم ومشاركتهم الفعلية، أمثال الاساتذة: حسن عزت، فهد الضاعن، سيف الدين عاشور، شكيب الأموي، لقمان يونس، وغيرهم».



الاستاذ خليل ابراهيم الفزيع، رئيس تحرير جريدة اليوم بالدمام: «الأدب في المنطقة الشرقية لا نستطيع أن نفصله عن الأدب في المملكة..»

ويحدثنا الاستاذ خليل ابراهيم الفزيع، رئيس تحرير جريدة اليوم، عن مسيرة الأدب في المنطقة الشرقية حاليا، وكيف يمكن مقارنته بأدب الجيل الماضي، فيقول: «الأدب في المنطقة الشرقية لا نستطيع أن نفصله عن الأدب في المملكة، وقد استفاد أدبنا المحلي من التيارات والمذاهب الأدبية

---

(٢) راجع «القافلة»، عدد رمضان ١٤٠٦هـ.

الحديثة الى حد ما. ورغم قرب المنطقة الشرقية من منطقة الخليج جغرافيا فانها ولأسباب عديدة لم تستفد من المناخ الفكري الخليجي الا في حدود ضيقة. والملاحظ أن الأدب في المنطقة الشرقية يمر بفترة ركود بدأت مع بداية الجيل الماضي الذي لم يقدم شيئا مميزا للحركة الأدبية في المنطقة. ومع أن المناطق الأخرى شهدت انتعاشا فكريا واضحا سواء في الجيل الماضي



الأستاذ عبدالله احمد الشباط، من الأدباء الذين اسهموا في تطوير الحركة الأدبية والفكرية في المنطقة الشرقية.

أو الجيل الحاضر. فقد ظل تأثير أدباء المنطقة محدودا في حركتنا الفكرية. أما المقارنة بين الأدب في المنطقة الشرقية بين جيلين فهي مقارنة ليست في صالح أدب الجيل الماضي». وعن القصة القصيرة يقول: «مستقبل القصة في المنطقة الشرقية كما هي الحال في المملكة بصفة عامة يفتح آفاق الأمل الذي نطمح اليه. فقد ظهرت اسماء تميز انتاجها بالجودة مما يبشر بمستقبل رائع للقصة في أدب بلادنا».



الاستاذ عبدالرحمن عبدالكريم العبيّد، شاعر ومؤرخ، يتحدث للقافلة عن تاريخ المنطقة.

وتحتضن المنطقة حاليا عددا من الأدباء الذين ما زالوا يسهمون في دفع مسيرة الأدب، نذكر منهم محمد عبدالله العلي، وعبدالله احمد الشباط، وعبدالرحمن عبدالكريم العبيّد، المؤرخ والشاعر المعروف وصاحب ديوان الشعر «في موكب الفجر»، وقد عمل مديرا لتحرير جريدة اخبار الظهران فترة من الزمن، وهو عاكف على اصدار معجم الخليج العربي «قسم المنطقة الشرقية».

وقد تأسست في المنطقة عدد من المجلات الاسبوعية والشهرية والصحف اليومية، منها ما توقف عن الصدور، ومنها ما زال يؤدي خدماته الثقافية، ومن بين هذه الصحف والمجلات:

- **«القافلة»**، وهي مجلة شهرية ثقافية تأسست عام ١٣٧٣هـ، وكان منذ تأسيسها الى ما قبل عام ١٩٨٣م اسمها «قافلة الزيت»، تصدرها ادارة العلاقات العامة بشركة ارامكو. وتعاقب على رئاسة التحرير فيها بعض من الاساتذة، نذكر منهم حافظ البارودي، شكيب الاموي، سيف الدين عاشور، منصور مدني. أما رئيس تحريرها الحالي فهو عبدالله حسين الغامدي. وتطبع المجلة حاليا على مطابع شركة مطابع المطوع، ويوزع منها شهريا حوالي ٥٠ الف نسخة.

- **مجلة الاشعاع**[٣]: مجلة أدبية أصدرها ورأس تحريرها الاستاذ سعد البواردي بمدينة الخبر في ١٣٨٥هـ، وكانت مجلة شهرية طبعت لمدة عام واحد فقط في المطبعة السعودية بالدمام ثم توقفت نهائيا.

- **جريدة الخليج العربي**[٤]: صاحبها ورئيس تحريرها الاستاذ عبدالله احمد الشباط. وكانت شهرية تصدر في الاحساء عام ١٣٧٦هـ، وصدر منها ستة اعداد فقط ثم توقفت. وفي ١/١/ ١٣٧٧هـ، عادت الى الصدور في مدينة الخبر كجريدة اسبوعية ثقافية اجتماعية، وطبعت في البداية على المطبعة السعودية ثم على مطابع شركة الخط، ثم على المطابع الوطنية بالرياض. وفي بداية عام ١٣٨٠هـ، أصبحت تطبع على مطابع الخليج العربي الخاصة بها، الى أن توقفت عن الصدور في عام ١٣٨١هـ بعد صدور نظام المؤسسات الصحفية.

- **«قافلة الزيت الاسبوعية»**، نشرة اسبوعية تصدرها ادارة العلاقات العامة بارامكو منذ عام ١٣٧٩هـ، وهي تعنى بنشر أخبار الزيت والعاملين فيها، الى جانب الأبواب الثقافية والعلمية. وتوزع على موظفي ارامكو العرب في مناطق عملها فقط.

- **جريدة اليوم**: جريدة يومية تصدر عن دار اليوم للصحافة والطباعة والنشر بالدمام. تأسست في أعقاب صدور نظام المؤسسات الصحفية وبدأت في التحضير لاصدار جريدة اليوم منذ منتصف شهر ربيع الثاني ١٣٨٤هـ حيث صدر العدد الأول في ٢٠ شوال ١٣٨٤هـ. أول مدير عام لها هو الاستاذ عبدالعزيز التركي، وأول رئيس تحرير هو الاستاذ حسين خزندار، ومديرها العام الحالي هو الاستاذ حمد المبارك، ورئيس تحريرها الحالي هو الاستاذ خليل الفزيع. وهي جريدة اخبارية جامعة صدرت في باديء الأمر اسبوعية في ٨ صفحات ثم مرتين في الاسبوع، ثم ثلاث مرات في الاسبوع ثم صارت تصدر يوميا بـ٢٤ صفحة، وتستخدم الالوان في بعض صفحاتها. وتم تركيب مطابع جديدة للجريدة تطبع ٤٨ صفحة مع أربعة الوان ومشتقاتها بطاقة انتاجية قدرها ٢٠ الف نسخة في الساعة وتطبع الجريدة حاليا ١٢٠ الف نسخة يتم توزيعها داخل وخارج المملكة. والى جانب المركز الرئيسي للجريدة، يوجد لها تسعة عشر فرعا في مدن المملكة. كما يوجد للجريدة ثلاثة مكاتب في الخارج هي مكتب البحرين ومكتب القاهرة ومكتب تونس الى جانب المراسلين في العواصم العربية والغربية.

وتشترك الجريدة في بعض وكالات الانباء الاقليمية والعالمية.

- **«مجلة الشرق»**: مجلة اسبوعية سياسية ثقافية اجتماعية تصدر من الدمام منذ حوالي ثماني سنوات. ويرأس مجلس ادارتها الاستاذ احمد عبدالرحمن الغامدي، ومدير تحريرها الاستاذ شاكر عبدالله الشيخ. والى جانب تلك المجلات والصحف الآنفة الذكر، هناك عدد متواضع من النشرات التي تتولى اصدارها الجامعات والمؤسسات الحكومية والتي تعنى بالشؤون الثقافية والفكرية في المنطقة. ومن هذه النشرات، «الجامعة» التي تصدرها جامعة البترول والمعادن بالظهران، و«مارد الدهناء» التي تصدر عن المؤسسة العامة للخطوط الحديدية بالدمام، ومجلة الاقتصاد تصدرها غرفة التجارة والصناعة بالدمام.

الفنـون الشعبية[٥]:

لكل أمة من الأمم، أو بيئة من البيئات، فنونها وعاداتها الخاصة بها والموروثة عن الآباء والأجداد. فالفنون الشعبية في المدن الثلاث (الدمام والخبر والظهران) استمدت جذورها الاصلية من البيئة البحرية حيث كان الغوص والبحث عن اللؤلؤ يمثل صلب الحياة الاقتصادية والمعيشية لابناء الخليج العربي. وقد عايشت الفنون الشعبية، في المنطقة وفي سائر دول الخليج العربية، مياه الخليج خيره وشره عبر السنين، وتعاقبت الاجيال على ترديد اهازيج ورقصات فنون البحر، التي تشمل السمر والطرب، والمناسبات.

ولكل من تلك التقسيمات أهازيجها الخاصة بها، والتي يصاحب بعضا منها آلات موسيقية كالطبول، والمراويس، والعود، والسمسمية، وغيرها، كما تميزت مجالس السمر والمناسبات في اقطار الخليج العربي آنذاك، بفنون شتى من أهمها:

الصوت الخليجي:

يرجع كتاب «الاغنية الشعبية في قطر» الصوت الى حضرموت، وان وصوله الى منطقة الخليج كان عن طريق المغن «عبدالرحيم عسيري» الذي أوصله الى

(٣و٤) هذه المعلومات مستقاة من كتاب سلسلة هذه بلادنا (الخبر) للاستاذ عبدالله احمد الشباط.

(٥) راجع «القافلة» — جمادى الثانية ١٤٠٤هـ/ رجب ١٤٠٤هـ.

البحرين اثناء تتلمذه على يد المطرب «محمد فارس». ويذكر ان اول من غنى الصوت الخليجي في المنطقة الشرقية هو «ابراهيم بن صالح الدوسري» من أهالي دارين ومن بعده سعد الفرج.

فـن الفجـــري:

وينقسم الى عدة أقسام هي: الفجري البحري، الحدادي، الحساوي المخولفي، الحجازي، والعدساني. وجميعها تقوم على الموال الزهيري نسبة الى ملا جاد الزهيري، مؤسس هذا الفن. ويصاحب الموال الطبول والمراويس، ويؤدى جلوسا او وقوفا على ايقاعات وألحان مختلفة.

فـــن السامري:

وهو احد فنون «اللعبونيات» التي تنسب الى الشاعر «محمد بن لعبون» رائد هذه الفنون. ويعتبر فن السامري من أجمل ما يغنى في المناسبات ومجالس السمر، ويصاحب هذا الفن الغنائي طبلان وعدد من الطارات ويؤدى جلوسا، وتدور مواضيعه حول الغزل والشكوى والعتاب والحنين.

فـــن الخمـــاري:

أحد فنون اللعبونيات، ويؤدي هذا الفن الرجال والنساء. كما ان له رقصة خاصة تؤديها النساء على ايقاع الطارات حيث تميل المرأة يمنة ويسرة والى الامام والخلف ممسكة بطرف ثوبها، مرة من اليمين وأخرى من الشمال.

فـــن اللعبونـــي:

وهو الفن الثالث من فنون اللعبونيات حيث يكون موضوعه الغزل العذري، وهو فن له طابع خاص يميزه عن الفنون الأخرى في اللحن والاداء.

فـن العاشوري:

ويؤدي هذا الفن النساء غالبا والرجال احيانا في مناسبات الاعراس، ويصاحبه طبلان وعدد من الطارات وتؤدى احيانا مع فن العاشوري، لعبة «الفُريسة»، تصغير فرس.

والى جانب هذه الفنون هناك انواع أخرى تؤدى جماعية أو فردية، منها: العرضة، والمجيلسي، والغادري، والطنبورة، والليوة، وغيرها من الفنون الأخرى.

الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون:

دأبت الرئاسة العامة لرعاية الشباب على استقطاب المواهب ورعاية القدرات المبدعة في مجالي الثقافة والفنون والارتقاء بمستواها بشكل عام. ومن هذا المنطلق، افتتحت الرئاسة العامة فرعا للجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالدمام في بداية عام ١٣٩٨هـ.



الاستاذ صالح ابو حنية، مدير الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالدمام يشيد بالدور الذي تقوم به الجمعية.

وعن أهداف الجمعية ونشاطات اقسامها، حدثنا الاستاذ صالح ابو حنية، حيث قال: «من أهداف الجمعية رعاية الأدباء والفنانين والعمل على احتضان انتاجهم الفكري وتشجيعهم ومساعدتهم ماديا ومعنويا. كما ترعى الجمعية المواهب الشابة وتنميها وتتيح لها الفرص لابراز تفوقها ونبوغها في ظل الاشراف السليم والتبصير داخل اطار ملتزم بالقيم والاصالة.»

وتتكون الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون/ فرع الدمام من عدة لجان، أهمها:

- **اللجنة الثقافية**: وتنحصر مهامها في اقامة الحوار المفتوح بين الأدباء، وتنظيم المحاضرات، والندوات والامسيات الشعرية التي يشارك فيها بعض رجال الفكر والأدب والفن وأساتذة الجامعات والمسئولين في الدولة. كما تتولى اصدار كتب في النقد، والشعر، والدراسات الاسلامية وغيرها لمؤلفي وأدباء



تتخذ جمعية الثقافة والفنون بالدمام شعار اتاحة الفرصة لجميع المواهب بالمنطقة. ويظهر في الصورة احد المواهب يلقي وصلته الغنائية في احد الحفلات التي تعدها الجمعية.



ترعى الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، الفن الشعبي الخليجي، وتبرزه للجميع في مختلف المناسبات.

المنطقة، بالاضافة الى المسابقات الأدبية والفنية.

- **لجنة الفنون الشعبية والتراث**: وتضطلع برعاية التراث الشعبي الذي يربط الحاضر بالماضي، وذلك عن طريق الحفظ والتسجيل والعرض حفاظا عليه وعلى العادات والتقاليد والفنون الشعبية الموروثة. ويتبع الجمعية حاليا خمس فرق شعبية تقدم مختلف الفنون الشعبية التي تزخر بها المنطقة.
- **لجنة الفنون المسرحية**: وينحصر عملها في إعداد مسرح سعودي جاد يتفق مع قيمنا الروحية السامية، وحضارتنا العربية الاسلامية، وعاداتنا العريقة.
- **لجنة الفنون التشكيلية**: وهي تعنى باقامة المعارض الشخصية والثنائية والجماعية، واقتناء بعض أعمال الفنانين تشجيعا لهم.
- **لجنة الاعلام والنشر**: وتتولى نشر وتغطية أعمال الفرع من نشاطات ثقافية وفنية، وتسلط الضوء على اهتمامات الجمعية في هذا المجال.

دور المؤسسات والشركات الوطنية في دعم مسيرة التقدم:

كان لخطط التنمية التي رعتها حكومتنا الرشيدة أثرها الفعال في تطوير وتحسين مستوى خدمات المؤسسات والشركات الوطنية وسنتحدث في هذا الصدد عن بعض هذه المؤسسات في منطقة «الدمام — الخبر — الظهران»، والدور الذي أسهمت وتسهم به عبر مسيرة التقدم التي تشهدها المملكة.

الخطوط الجوية العربية السعودية:

تعتبر الخطوط الجوية العربية السعودية «السعودية» من المؤسسات الوطنية الرائدة التي حققت تطورا ملموسا مما جعلها تتبوأ مكانة مرموقة بين شركات الطيران في العالم.

ولعل من أهم الاهداف التي تبنتها «السعودية» وتعمل جاهدة على تحقيقها:

- المساهمة في تنمية الاقتصاد الوطني بواسطة تشغيل هذه المؤسسة الوطنية التي لا تشكل في حد ذاتها مشروعا اقتصاديا أكبر فحسب، بل وتدعم جهود التصنيع والتقدم في كافة انحاء المملكة.
- ربط أكبر عدد ممكن من المناطق الريفية النائية والحضرية في المملكة بشبكة نقل جوي سريع، من أجل الاسهام في مسيرة التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
- توسيع وتحسين الخدمات الخاصة بنقل حجاج بيت الله الحرام من المملكة واليها.
- توثيق صلة المملكة بالدول الشقيقة والصديقة في العالم عن طريق الرحلات الجوية المنتظمة.
- العمل على توظيف وتدريب الكفاءات الوطنية وتأهيلها لتتبوء المكانة المطلوبة في المؤسسة، بهدف تطويرها والنهوض بمستوى خدماتها الى الأفضل.

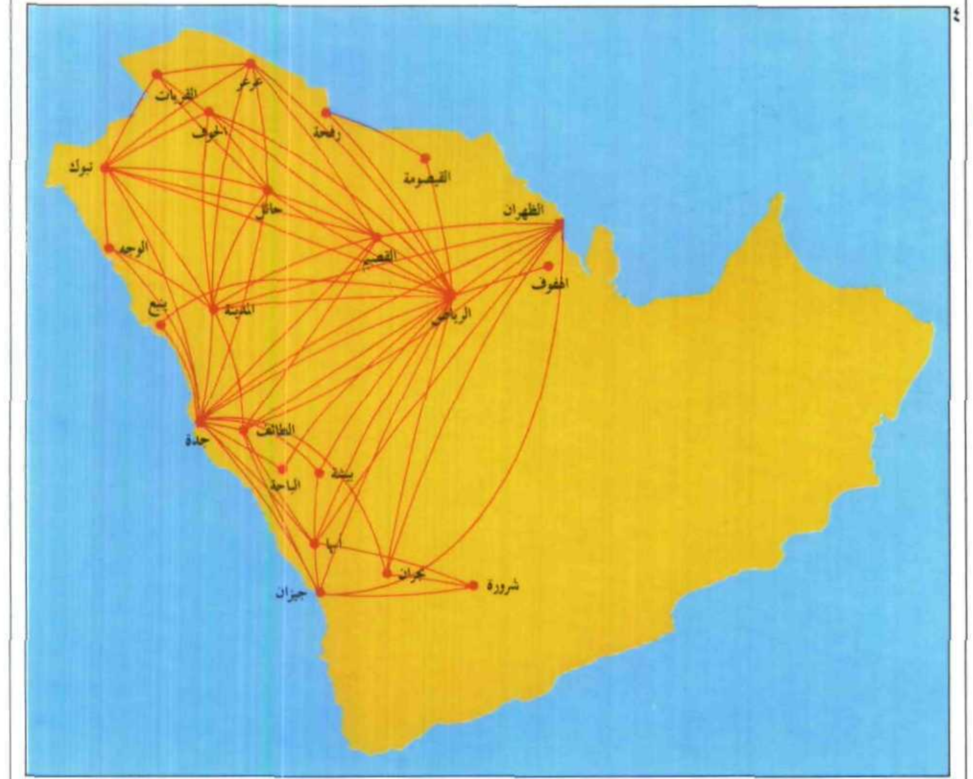
وتستخدم «السعودية» حاليا أكثر من ١٠٤ طائرات حديثة متطورة مختلفة من طراز البوينج — ٧٤٧، وترايستار، والايرباص. وتمتد خدمات «السعودية» حاليا الى نحو ٤٦ محطة في مختلف انحاء العالم موزعة بين أربع قارات.

واعتبارا من شهر ابريل الماضي (١٩٨٦) احتفلت «السعودية» في الظهران بافتتاح اكاديمية الطيران الجديدة الخاصة بها، حيث التحق بها عدد من الشباب الطموح السعودي لتدريبهم داخل المملكة بدلا من ابتعاثهم الى الخارج كما كان متبعا من قبل.









١ — الخطوط العربية السعودية (السعودية) مؤسسة رائدة تسهم في نقل المسافرين داخل المملكة وخارجها، وتمتد خدماتها الى نحو ٤٦ محطة في مختلف انحاء العالم.

٢ — توثق «السعودية» صلة المملكة بالدول الشقيقة والصديقة في العالم عن طريق الرحلات الجوية المنتظمة.

٣ — الأستاذ علي قدري، مساعد مدير عام الخدمات، في الخطوط العربية السعودية في مطار الظهران الدولي.

٤ — خارطة تبين خطوط الشبكة الداخلية لـ«السعودية».

الشركة السعودية للأسماك:

يأتي الأمن الغذائي على رأس قائمة الاولويات التي تضعها الدول في خططها التنموية، وذلك لتوفير حياة رغيدة بعيدة عن تقلبات الاوضاع الاقتصادية العالمية. وقد أولت المملكة العربية السعودية وما زالت قطاع الأمن الغذائي اهتماما بالغا، فوفرت التسهيلات امام رجال الأعمال السعوديين للاسهام في هذا المجال الحيوي. وما الشركة السعودية للأسماك، الا احدى تلك المؤسسات الوطنية التي حققت أهدافها الوطنية في ايجاد مصدر غذائي حيوي ومهم في البلاد.



الدكتور ناصر عثمان الصالح، مدير عام الشركة السعودية للاسماك، يتحدث عن أنشطة الشركة خلال الموسمين الماضي والحالي.

وفي لقاء مع الدكتور ناصر عثمان الصالح، مدير عام الشركة، حدثنا بايجاز عن نشأة هذه الشركة وأهدافها، فقال: «ان الشركة السعودية للاسماك، شركة وطنية مساهمة، اعلن عن قيامها في مدينة الدمام عام ١٤٠١هـ، ويمكن حصر أهداف الشركة في هدفين اولاهما صيد واستثمار ثروة الحياة البحرية في المياه الاقليمية السعودية، وفي مياه أخرى، وفي المياه الدولية، وذلك ضمن الأنظمة والقوانين المعمول بها. وثانيهما معالجة تلك المنتجات وتسويقها داخل البلاد وخارجها.»

واليوم وبعد مرور أكثر من خمس سنوات أصبح لدى الشركة السعودية للاسماك حوالي ثلاثين سفينة لصيد الاسماك والربيان في مياه الخليج العربي والبحر الأحمر. وقد بلغ انتاج الشركة من الاسماك والربيان في نهاية عام ١٤٠٥هـ حوالي ١١ الف طن من السمك والربيان، صدر منه كمية لا بأس بها وبخاصة الربيان الذي يشكل نسبة ٩٠ في المائة من الكمية المصدرة للخارج، نظرا لتزايد الطلب عليه في الاسواق العالمية.

مؤسسة الخطوط الحديدية السعودية:

تضطلع هذه المؤسسة الحكومية منذ تأسيسها بتوفير الخدمات والتسهيلات للمواطنين في مجال تنقلاتهم ونقل بضائعهم من الدمام الى الاحساء فالرياض



تحرص المؤسسة العامة للخطوط الحديدية السعودية على مواكبة التطور في المنطقة، عن طريق تحسين خدماتها وتوفير وسائل النقل الحديثة والمريحة.

معالي الاستاذ فيصل محمد الشهيل، الرئيس العام للمؤسسة العامة للخطوط الحديدية السعودية، يتحدث الى مندوب «القافلة».

وبالعكس. وقد مرت الخطوط الحديدية السعودية، منذ انشائها في ١٣٧١هـ بمراحل تطويرية تواكب مسيرة النهضة الشاملة التي تشهدها المملكة في شتى المجالات. وكان من بين الانجازات التي تحققت مؤخرا في الخطوط الحديدية السعودية:

- انشاء خط حديدي بين الدمام والرياض لاختصار المسافة من ٥٧١ الى ٤٥٠ كيلومترا. ويشمل هذا الخط الجديد الخط المزدوج من الدمام الى الهفوف بطول ١٤٠ كيلومترا، والخط المباشر (قسم الهفوف) بطول ١٦٠ كيلومترا. والخط المباشر (قسم الرياض) بطول ١٤٧ كيلومترا. وقد بلغت تكلفته نحو ١٢٠٠ مليون ريال.
- شراء ٤٠ قاطرة جديدة يمكنها السير بسرعة ١٥٠ كيلومترا في الساعة، مما رفع عدد القاطرات التي تمتلكها المؤسسة الى ٤٧ قاطرة و٥٨ عربة ركاب و٢١٦٥ عربة شحن مختلفة كعربات الصهريج والعربات المسطحة والمصندقة وغيرها.

وحول انشاء الخط السريع الجديد، قال معالي الاستاذ «فيصل محمد الشهيل، الرئيس العام للمؤسسة العامة للخطوط الحديدية السعودية، لمندوب القافلة: «ان التوقعات اليوم تؤكد أن تشغيل القطار الجديد على هذا الخط السريع، سيحقق زيادة كبيرة في أعداد الركاب... فالمسافة أقصر، والزمن أقل، والخدمة أكثر راحة. كما أن القطار الجديد لن يتوقف بعد خروجه من الدمام الا في محطة الهفوف، بعدها يتخذ مساره المختصر والمباشر الى الرياض دون توقف».

كهربـاء الشرقية:

تأسست الشركة السعودية الموحدة للكهرباء في المنطقة الشرقية في ١٣٩٦هـ حيث توحدت شركات كهربائية مستقلة كانت تعمل في المنطقة الشرقية اضافة الى شبكة ارامكو ذات الضغط العالي ومعظم مرافق توليد الكهرباء لديها في شركة موحدة أطلق عليها، «كهرباء الشرقية». وتمتد منطقة الامتياز من الخفجي وحفر الباطن والصمان في الشمال الى سلوى وحرض في



جانب من محطة غزلان لتوليد الكهرباء، وهي أول محطة لتوليد الطاقة بالبخار يتم انشاؤها في المملكة، وتبلغ طاقتها ١٦٠٠ ميغاواط.

الجنوب. وتخدم أكثر من ٢٨٥ الف مشترك.

وتتمثل قدرة الشركة في مجال التوليد في ٩ محطات رئيسية هي، حسب ترتيب انتاجها من الطاقة، غزلان وشدقم وفرس والدمام والعثمانية والبري والسفانية والجعيمة والظهران. وفي نهاية عام ١٤٠٥هـ بلغت طاقة الشبكة على توليد الكهرباء ٤٨٧٩ ميغاواط، وبلغت أطوال الشبكات الهوائية لنقل الطاقة ما يقرب من ٦٠٠٠ كيلومتر.

وبالاضافة الى طاقة التوليد التي تنتجها مرافق الشركة، تم ربط مرافق توليد الطاقة الخاصة بالمؤسسة العامة لتحلية المياه (التي تنتج الكهرباء كمنتج ثانوي) بشبكة كهرباء الشرقية ليصل اجمال الطاقة منها ١١٤٠ ميغاواط بنهاية عام ١٤٠٥هـ.

وبفضل الشبكتين المترابطة والمعزولة امكن لكهرباء الشرقية ايصال الكهرباء الى نحو ٩٨٪ من سكان المنطقة الشرقية، وكهربة معظم قرى وهجر المنطقة.

ومما هو حري بالذكر أن كهرباء الشرقية بدأت في عام ١٤٠٤هـ بتزويد مدينة الرياض بـ٨٢٥ مليون كيلواط/ ساعة من الطاقة الكهربائية وخلال عام ١٤٠٥هـ ازدادت هذه الطاقة الى ١.٦ بليون كيلواط/ ساعة.

ومن بين الانجازات الرئيسية التي حققتها كهرباء الشرقية انشاء محطة حديثة لتوليد الطاقة بالبخار في غزلان طاقتها ١٦٠٠ ميغاواط على ساحل الخليج العربي بين الجعيمة والجبيل. وهي أول محطة ضخمة للطاقة الحرارية في المملكة تقوم بتوليد الكهرباء بالبخار.

الشركة السعودية للنقل الجماعي:

لعبت الشركة السعودية للنقل الجماعي في المنطقة الشرقية دورا رائدا في مجال نقل الركاب، فقد قامت الشركة بربط المنطقة الشرقية في كل من الدمام والخبر والظهران والقطيف والقرى المحيطة بها وكذلك الاحساء بشبكة للنقل تغطي معظم ارجاء المنطقة. وتتألف هذه الشبكة من ثلاثة عشر خطا تربط الدمام بالمدن المجاورة لها وستة خطوط تربط الهفوف بالقرى المحيطة بها.

الموانيء في المنطقـة:

لعبت الموانيء على الساحل الشرقي من المملكة العربية السعودية دورا بارزا ومهما في تيسير سبل الاتصال بين سكان هذا الجزء الحيوي من المملكة وبلاد السند والهند وجنوب شرق آسيا، لتبادل السلع التجارية معها، وكان من أهم تلك السلع التوابل والبخور التي كانت تلقى رواجا كبيرا آنذاك. وقبل ظهور مينائي الدمام والخبر، كان هناك ميناء القطيف والعقير اللذان كانا ممرا حيويا لعبور البضائع القادمة من الهند واليمن.



قامت شركة النقل الجماعي بربط مدن الدمام والخبر والظهران والقطيف وما جاورها بشبكة نقل كبيرة بلغت ثلاثة عشر خطا.

وبعد أن أفاء الله على المملكة العربية السعودية بالذهب الاسود واكتشافه بكميات تجارية في عام ١٩٣٨، أصبحت الحاجة ملحة، آنذاك، لفرضة أو ميناء لتصدير الزيت، فوقع الاختيار على الخبر التي أنشئت فيها فرضة صغيرة للتخزين والشحن عام ١٣٥٧هـ وفي الوقت ذاته كان العمل جاريا لاقامة فرضة رأس تنورة حيث انه في عام ١٣٥٨هـ، حملت أول شحنة من الزيت السعودي من فرضة رأس تنورة، لتصبح فرضة مخصصة لشحن الزيت. أما ميناء الخبر الحالي فقد حدثنا عنه الاستاذ محمد المعيوف مساعد مدير الميناء حيث قال: «تم تسلم ميناء الخبر من قبل المؤسسة العامة للموانيء في ١٣٩٨هـ. وفي عام ١٤٠٢هـ تمت توسعة الميناء باضافة ساحتين، الأولى وتقع في شمال الميناء ومساحتها ٦٤٢٥٠ مترا مربعا، والثانية وتقع في جنوب الميناء ومساحتها ٤٦٨٠٠ متر مربع».

ويضم ميناء الخبر، حاليا، رصيفا طوله ٩٠ مترا، وهو مخصص للمسافرين والقادمين، ورصيفا آخر طوله ١٧٢ مترا لاستقبال البضائع الواردة من دول مجلس التعاون، بخاصة دولة البحرين الشقيقة التي تشكل البضائع القادمة منها النصيب الأكبر.

وبـقـي

ختام جولة القافلة تحدث اليها الاستاذ رباح محمد الحازمي، مدير عام الميناء فقال: «يبلغ عدد المغادرين من الميناء ٤٣٨٠ شهريا، والقادمين اليه ٣٩٦٠ شهريا. واما عدد مراكب نقل البضائع والركاب التي ترسو بالميناء فيبلغ حوالي ٤٧٢ مركبا شهريا.



الاستاذ رباح محمد الحازمي، مدير عام ميناء الخبر، يتحدث للقافلة عن مهام الميناء.



احدى ساحات التخزين التابعة لميناء الملك عبدالعزيز بالدمام.

ميناء الملك عبدالعزيز بالدمام:

يعتبر هذا الميناء نافذة المنطقة الشرقية التجارية. وقد بديء في انشائه عام ١٩٤٨ باقامة رصيف الميناء في عرض البحر مسافة ١٢ كيلومترا. وبعد مراحل التوسعة التي توالت على الميناء، وبعد تزويده بمعدات ووسائل التفريغ والشحن الحديثة، استطاع أن يستقبل يوميا نحو ١١٠٠ طن من البضائع، وان يصل معدل التفريغ فيه الى ٧٢٠ طنا يوميا من مختلف السلع والبضائع المختلفة ويشتمل الميناء على ٤٠ رصيفا[٦].

وبعد، فقد كانت تلك جولة قمنا بها في مدن الدمام والخبر والظهران توخينا فيها ابراز وجه التطور الذي شهدته هذه التوائم الثلاثة بفضل الله ثم بفضل خطط التنمية الطموحة التي ترعاها حكومتنا الرشيدة بقيادتها الحكيمة المخلصة □

(٦) جريدة اليوم — العدد ٤٣٥٩.

جانب من ساحة رص الانابيب في ميناء الملك عبدالعزيز بالدمام، ويبدو في مؤخرة الصورة عدد من الرافعات الضخمة.

تصوير: محمد صالح آل شبيب ـ عبدالله دبيس ـ علي المبارك ـ علي خليفة — ارامكو/ خدمات التصوير المهنية ـ شركة الخدمات الوطنية

عبدالله بن ادريس شاعرًا.. ومؤرخًا للأدب

بقلم : د. مصطفى ابراهيم حسين / الرياض

هو عبدالله بن عبدالعزيز بن زامل بن ادريس. ولد في قرية قرمه، احدى قرى مقاطعة الدواسر، باقليم نجد عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٢٩م. ثم درس على بعض كبار علماء نجد، ومنهم:

- الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ، مفتي الديار السعودية، ورئيس قضاتها الأسبق.
- الشيخ عبداللطيف بن ابراهيم آل الشيخ، شقيق الشيخ محمد.

وعلى هذين العالمين الشقيقين، تلقى عبدالله بن ادريس دروسا في علوم العربية، كالنحو والصرف، والعلوم الاسلامية، كالشريعة والتوحيد، والحديث والتفسير والفقه والمواريث، ثم اتيح له أن يدرس دراسة نظامية، فالتحق بمعهد الرياض العلمي، عند افتتاحه، عام ١٣٧١هـ، بعد أن استقال من عمله بالتدريس.

وبعد أن حصل بن ادريس على الشهادة الثانوية من المعهد العلمي، التحق بكلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، وتخرج بها في عام ١٣٧٦هـ. وقد شغل، بعد تخرجه، عدة مناصب تعليمية وادارية بوزارة المعارف وجامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية. ومن هذه الوظائف:

- مدرس لعلوم الشريعة (١٣٦٨ـ١٣٧٠هـ).
- مفتش فني بالمعاهد العلمية، التابعة لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية (١٣٧٧ — ١٣٧٨هـ).
- مدير التفتيش والامتحانات العامة للكليات والمعاهد العلمية (١٣٧٨ — ١٣٧٩هـ).
- مساعد مدير عام التعليم الثانوي بوزارة المعارف (١٣٧٩ — ١٣٨١هـ).
- مدير التعليم الفني بوزارة المعارف (١٣٨٢ — ١٣٨٥هـ).
- مدير عام الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

ابن ادريس محاضرًا

شارك عبدالله بن ادريس بمحاضرات ادبية وثقافية مختلفة، من ذلك على سبيل المثال:

- محاضرة بعنوان «معالم الشعر السعودي المعاصر» وقد ألقاها بجامعة الملك فيصل بالاحساء، في عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- محاضرة بعنوان «الشعر السعودي خلال الثلاثين عاما الأخيرة».. القاها بمؤتمر الأدباء السعوديين، بجامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة، عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- محاضرة بعنوان «مسارات الشعر السعودي الحديث».. القاها بفرع الرئاسة العامة لرعاية الشباب، في مدينة المجمعة في عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- محاضرة بعنوان «الحياة الفكرية والثقافية والنهضة الحديثة في المملكة».. القاها بالمركز الثقافي في الرياض» في عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ولعل من حق المهتمين بالأدب والحياة الثقافية في المملكة العربية السعودية، أن يطالعوا مثل هذه المحاضرات مجموعة منشورة في كتاب مطبوع يضيفه ابن ادريس الى سائر ما كتب في الأدب والثقافة.

في اللجان والمجالس والمؤتمرات

يسهم ابن ادريس بجهوده في مجالات أدبية وعلمية مختلفة، فهو عضو في مجلس «دارة الملك عبدالعزيز» وفي هيئة الاشراف على مجلة الدارة، كما انه عضو باللجنة الثقافية بجمعية الثقافة والفنون بالرياض، وبالهيئة التحضيرية للمؤتمر العالمي لسيرة وتاريخ الملك عبدالعزيز آل سعود، رحمه الله، والذي انعقد في عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. هذا الى مشاركاته في العديد من المؤتمرات، مثل مؤتمر الفقه الاسلامي، الذي نظمته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض في عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، واسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، المنعقد بمدينة الرياض في عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ومؤتمر المؤرخين والجغرافيين للجزيرة العربية، الذي نظمته كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض، في عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، وغير ذلك من المهرجانات والمؤتمرات والندوات. كما نال ابن ادريس اكثر من جائزة ووسام تكريمي، مثل جائزة الشعر في المسابقة الدولية، التي نظمتها هيئة الاذاعة البريطانية في عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، وشارك فيها أكثر من (٥٨٠) شاعرا عربيا من مختلف الدول العربية. كما حصل ابن ادريس —أيضا— على وسام الريادة والميدالية الذهبية من مؤتمر الأدباء السعوديين عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

ابن إدريس والصحافة

ولأديبنا مشاركات في حقل الصحافة السعودية، اذ أنشأ صحيفة «الدعوة»، ورأس تحريرها بنفسه، منذ صدور أول عدد لها في غرة عام ١٣٨٥هـ. ثم صار رئيسا للتحرير، ومديرا عاما لمؤسسة الدعوة الصحفية، خلال الفترة من عام ١٣٨٥هـ الى عام ١٣٩٢هـ.

وخلال تلك الحقبة نشر العديد من المقالات الافتتاحية في شتى المجالات الاسلامية، والسياسية، والثقافية، والاجتماعية، كما شارك بالكتابة النثرية والابداع الشعري في كافة الصحف والمجلات السعودية — القائمة والمحتجبة— على مدى ثلث القرن، كما كانت له مشاركاته الأدبية، نثرا وشعرا، في مجلات عربية مختلفة، من بينها —على سبيل المثال— مجلة الآداب البيروتية، التي يصدرها الأديب اللبناني المعروف الدكتور سهيل ادريس.

ابن ادريس والاذاعة

وقد أسهم ابن ادريس، أيضا، في الحقل الاذاعي، وذلك منذ تأسيس الاذاعة السعودية بمدينة الرياض، فقدم العديد من البرامج الثقافية والاجتماعية، الى جانب المئات من الاحاديث الاذاعية في مجالات ادبية وتراثية، بالاضافة الى مشاركاته في الندوات والمقابلات الاذاعية.

ابن ادريس والتأليف

أصدر عبدالله بن ادريس كتابا هاما بعنوان: «شعراء نجد المعاصرون» في عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م. قدم فيه تراجم لأكثر من عشرين شاعرا من شعراء اقليم نجد في المملكة العربية السعودية، وقرن كل ترجمة بمختارات شعرية، ولابن ادريس، بكتابه ذاك، فضل التعريف لأول مرة بشعراء سعوديين، ما كنا لنعلم بهم لولا عبدالله بن ادريس.

وما تزال لاديبنا طائفة من المؤلفات الادبية والتاريخية والعلمية، قيد الطبع. كما انه شارك في اعداد وتأليف «الكتاب المدرسي» بالمملكة العربية السعودية.

الناقد والمؤرخ: سبق الحديث عن كتاب «شعراء نجد المعاصرون»، كصورة لجهد ابن ادريس في مجالي التأريخ الادبي والنقد التطبيقي. ونضيف هنا جملة من الحقائق بشأن هذا الكتاب:

- انه أول كتاب يطلعنا على جمهرة من شعراء نجد، في تراجمهم وأشعارهم.
- ان المؤلف هو نفسه واحد من شعراء نجد، الذين عاصروا الحياة الأدبية بها، والتحموا مع

تيارها، سواء في منطقة نجد، أم في سائر انحاء المملكة العربية السعودية، الى معرفته بسائر التيارات في الساحة العربية عامة.

- انه استطاع، برغم قلة المصادر عن شعراء نجد، ان يقدم صورة للحركة الشعرية ممثلة في طائفة من اعلام الشعر بها.
- ان الكتاب يعنى في المقام الاول بعنصر «النص الشعري»، فيقدم لنا مختارات من الاشعار، مع تراجم موجزة، حتى تبدو الصورة واضحة مجلوة القسمات، لا تحجبها الدراسات والتحليلات. ومن هنا يكون كتاب ابن اديس — اذا استثنينا مقدمته، وترجماته الوجيزة للشعراء، أقرب الى «الاختيارات الشعرية»، منه الى الدراسة التحليلية.

وهذا نمط من التأليف الأدبي، لدى فريق من ادباء المملكة العربية السعودية، يتمثل في «من وحي الصحراء» لمحمد سعيد عبدالمقصود وعبدالله بلخير وكتاب «شعراء الحجاز المعاصرون»، لعبد السلام الساسي.

على أن كتاب ابن ادريس «شعراء نجد المعاصرون» ينقسم الى قسمين:

الأول، دراسة عامة، تتبع فيها المؤلف نشأة الشعر العربي وتطوره، مع الكشف عن صلته بحركة الغناء والموسيقى، والم بمركز نجد ومكانتها الشعرية، منذ أقدم العصور، حيث أنجبت الطلائع من الفحول، كامرىء القيس، وعلقمة بن الفحل، وعمرو بن كلثوم، واعشى قيس، وهم جاهليون. كما انجبت من الاسلاميين، جريرا، وذا الرمة، ويزيد بن الطثرية، ومروان بن ابي حفصه، وبكر بن النطاح. والنتيجة التي خلص اليها من المقدمات السابقة هي: «فالشعراء النجديون هم من حملة راية الشعر الخفاقة وأصحاب القيادة فيه».

وفي القسم الأول، أيضا، تحدث المؤلف عن الحركة السلفية، بزعامة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وعن دورها في الاحياء والبعث الفكري والروحي والأدبي. كما تتبع المؤلف في هذا القسم من الكتاب الشعر المعاصر وعوامل تطوره، وموقع شعراء نجد في حركة التطور، واتجاهاتهم الفنية المتنوعة بين مختلف المذاهب الأدبية، متناولا كل اتجاه من تلك الاتجاهات بدرس مفصل.

أما القسم الثاني، فهو القسم الغالب من الكتاب، بل هو الأصل وما عداه توطئة وتقديم. وقد تناول ثلاثة وعشرين شاعرا هم: محمد بن عبدالله بن عثيمين، خالد الفرج، الأمير عبدالله الفيصل، ناصر ابو احيمد، محمد الفهد العيسى، محمد السلمان الشبل، عبدالرحمن المحمد المنصور، محمد العامر الرميح، سعد البواردي، عبدالكريم الجهيمان، صالح العثيمين، عبدالله الصالح العثيمين، حمد الحجي، ابراهيم المحمد الدافع، عثمان بن سياد، سعد بن ابراهيم ابو معطي، عبدالله بن ابراهيم الجلهم، عبدالرحمن العبدالكريم العبيد، محمد المسيطير، عبدالله القرعاوي، عبدالله الحمد السناني، ابراهيم العواجي، واخيرا ترجم عبدالله بن ادريس لنفسه، واختار بعض أشعاره.

والمؤلف في ترجماته يوجز ولا يطيل، كما سلف القول، فقد لا تزيد الترجمة على فقرتين اثنتين، وقد تطول، ولكنها لا تتعدى الصفحتين. وهو في ترجماته يلم بطرف من حياة الشاعر، وموطنه في نجد، كما يعرج على أبرز خصائص شعره، عارضا، أحيانا، بالموازنة بينه وبين شاعر قديم أو آخر معاصر، وقد يعرض بالمقارنة بين الشاعر النجدي، وبين شاعر اوروبي، كاشفا عن جوانب تأثير الشاعر الاوروبي. كما يشير في كثير من الأحيان الى آثار الشاعر من مؤلف أو ديوان، ذاكرا ما طبع، وما لم يطبع من تلك الآثار.

اما عن مصادر الكتاب فهي تتنوع ما بين الرواية الشفوية، والمدونات الخاصة من دفاتر ومذكرات، والصحف والمجلات، ودواوين الشعراء مخطوطة ومطبوعة، هذا الى جانب بعض الدراسات التي المت، في وقت مبكر، بجوانب من الحركة الأدبية في منطقة نجد، مثل كتاب «الأدب في الخليج العربي» للاستاذ عبدالرحمن العبيد، وبحث الدكتور طه حسين عن «الحياة الأدبية في الجزيرة العربية»، الذي ضمه كتابه «الوان».

ابن ادريس شاعرا

نشر ابن ادريس اشعاره في سن مبكرة، في صحف ومجلات سعودية وعربية. ولكنه لم يعن بجمع اشعاره في ديوان الا مؤخرا. حيث نشر ديوانه «في زورقي» في عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. كما ضمن كتابه المتقدم «شعراء نجد المعاصرون» طائفة من اشعاره، مع سيرته الذاتية. وقد بلغت جملة ابياتها أكثر من مائتي بيت.

وقد صنف الشاعر ديوانه في أبواب هي: القوميات الاسلامية، والوطنيات والاجتماعيات. وهو تقسيم يكشف، بوضوح، عن الخط الالتزامي، ممتزجا في الوقت نفسه بالخط الذاتي.

فعبدالله بن ادريس يتجاوب، في قصائده الاسلامية والقومية، مع الاحداث الاسلامية والعربية، في الجزائر الثائرة وبورسعيد الظافرة وعمان الناهضة. وتفزعه حادثة العدوان على الحرم الشريف، كما يتجاوب مع بعض الأحداث داخل وطنه، وبخاصة ما يتصل منها بجوانب النهضة العلمية، كافتتاح فرع لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في أبها، أو وضع حجر الاساس لبناء الجامعة الجديد بالرياض، على طريق مطار الملك خالد.

على أن مراثي ابن ادريس تعكس —هي الأخرى— مشاعر الفنان في التحامه الصادق مع امته ووطنه وذاته. ومن هنا تأتي مراثيه في ديوانه باقة حزينة آسية من قصائده في جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، رحمه الله، المؤسس الأول، وفي رثاء جلالة الشهيد الملك فيصل بن عبدالعزيز، رحمه الله، وفي رثاء سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ، مفتي الديار السعودية، ورئيس قضاتها، ورئيس المعاهد العلمية والكليات، التي أصبحت —فيما بعد— «جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية». وكان الشيخ —غفر الله له— احد اساتذة الشاعر ابن ادريس، كما سبق القول.

وفي قصائد عبدالله ابن ادريس الاسلامية، تتردد النغمة الاسلامية، من حديث عن الاسلام، الى ذكر للقرآن والرسول، الى اشادة بالتوحيد والعدل والحق والتضامن. يقول من قصيدة «هي أمتي»:

برسالة الاسلام عز جنابها ... ومشى الامام مفديا راياتها
من مكة شمس الهداية أشرقت ... بمحمد المختار من ثرواتها
وتنزل القرآن وحيا خالدا ... يجلو به الاكوان من ظلماتها
يدعو الى التوحيد اشرف مبدأ ... ويحرم الاسواء من عاداتها
فانجاب عن وجه الحياة قتامها ... وتألق الاصباح في باحاتها
للحق، للاسلام، قامت دولة ... لم يعرف التاريخ مثل بُناتها
قامت على وحي الاله وشرعه ... فتوحدت من نيلها لفراتها

وفي هذا النمط من القصائد، يعمد الشاعر الى اسلوب فني، هو «استدعاء التاريخ»، يربط فيه بين ماضي الأمة وحاضرها. فيشير في قصيدته السابقة الى مقولة هارون الرشيد الشهيرة، حين خاطب السحابة بقوله «شرِّقي او غرِّبي. اينما تمطري فسوف يأتيني خراجك»:

نادى الرشيد سحابة مرت به ... عجلى ولم تنطق بفضل هباتها
ليقول حطي حيث شئت فاننا ... سننال ما تسقين من ثمراتها

فاذا انتقلنا الى شعره الذاتي، طالعتنا أولى قصائده وهي «في زورقي» التي حمل الديوان اسمها. وفيها تعبير عن شكوى مكتومة، هي مزيج من القلق والفزع، والبحث الدائم عن سكينة النفس الحائرة المعذبة، مع اعتزاز شامخ بالكرامة والقيم الرفيعة، والضيق بأرباب المنافع من ضعاف النفوس، أولئك الذين شبههم الشاعر بالبغاث التي تستنسر.

والقصيدة تتوسل بالرمز، وهو «الزورق»، يسبح الشاعر به في لجة ثائرة العواصف، محاطة بالظلام، ومع هذا فان الشاعر لا تنثني عزيمته، ولا تنحني قامته امام المخاوف، بل يظل على قيمه: حرا لا يتملق، صريحا لا يحابي.

لعب الخصم بزورقي فطغى على مجرى الشعور
لما اطلعت فخلتني كالطير في كف الصغير
ان كان ذاك فانني ما زلت احلم بالعبور

ان العبور الى الامام لخطوة الشهم النبيل
رباه بلغ بالسلامة زورق الحلم الجميل

ورنوت للأفق البعيد الى الكرامة والسماح
لا ضير أني ارتئي شق المصاعب بالكفاح
وهنا عطفت بزورقي. فجرى على كف الرياح

والحر يمقت عيشه يبقى العزيز به ذليل
رباه بلغ بالسلامة زورق الحلم الجميل

انا ما حييت فشيمتي تأبى التملق والخداع
هل مبدئي غير الصراحة والنزاهة في الطباع
ان كان رزقي يقتضي مني خنوعا وانصياع

فعلى الغنى مني السلام وبؤس للمجد الأثيل
رباه بلغ بالسلامة زورق الحلم الجميل

والقصيدة — في نهجها العام — رومانسية الطابع، ففيها الشكوى والبحث عن السكينة، وتوظيف عناصر الطبيعة في رمز عام شامل، يربط اجزاء التجربة، على نحو قصصي فيه الحدث المتنامي، والصراع والحركة.

لكن شكوى الشاعر وآلامه وعناءه، ليست منهزمة ولا يائسة، بل هي، في خاتمة المطاف،متسربلة بثوب من الايمان والدعاء الدائم الى الله عز وجل. ولعل هذه الرومانسية المؤمنة، المستعلية على كل عوالم الانهزام والقهر، هي سمة عامة لرومانسية عبدالله ابن ادريس. لهذا فان مطالع قصائده الرومانسية تتشح بالحزن والقتامة، ولكن هذه القتامة ما تلبث ان تنقشع، حين يفيء الى مرفأ آمن، ينعم بالنور والسكينة والايمان.

يقول ابن ادريس من قصيدته «مع الليل»:

لكن وان عصف الشقاء بمهجتي
فمطمئنٌ نفسي بحسن مصــيري
أأسير في ركب التعاسة طائعا
والكون يزخر بالرؤى والنــور
فأرى الجمال مرفرفاً ينساب في
روضٍ أغنَّ مطرزاً بزهــور

وان يكن من أسباب لهذه «الرومانسية المتفائلة المؤمنة» في شعر ابن ادريس، فانها تكمن في تلك التنشئة الدينية والتأثر بالجو الروحي المكين، الذي كان — بدوره — صدى باقيا للنزعة الاسلامية التي لفت الجزيرة العربية، ثم للأثر الذي احدثته الحركة السلفية. كما أن الشاعر متأثر من بعض الوجوه الرومانسية المتفائلة التي حمل رايتها أبو القاسم الشابي في المغرب، وايليا ابو ماضي في المهجر.

وقد حافظ عبدالله بن ادريس على الشكل التقليدي لموسيقى القصيدة العربية: وزنا وقافية، مع فارق هام، يلمسه قارىء ديوانه. فبينما يحافظ على وحدة الوزن والقافية في القصيدة الموضوعية الملتزمة، فانه يتصرف وينوع في القصيدة الذاتية، ولكن في اطار من الوزن والقافية. ولهذا التصرف والتجديد صور شتى تتمثل فيما يلي:

- استخدام نظام «المقطعات»، الذي تتنوع فيه القافية، كما في قصيدتيه: «أملي الظامىء»، و«رائد المجهول».
- التنويع والتوافق، بأن تتنوع القوافي في مقطعات، مع اتفاق القافية في بيتين أو أكثر، كما في قصيدة «في زورقي».
- استخدام شكل الموشح المعروف، كما في قصيدة «سارق الاحلام».

هذا الى جانب قصائد أخريات حافظت على الاطار التقليدي للوزن والقافية، كما في قصيدتيه «عنابة» و«بهية».

أما لغة الشاعر عبدالله بن ادريس، فهي — أيضا — تختلف بين قصائده الذاتية والموضوعية، فبينما ترق الصياغة، وتقترب من لغة الحياة في قصائده الذاتية، كما تعمد الى المعجم الرومانسي في المفردات والتراكيب، فانها في القصائد الموضوعية، تصبح لغة تراثية، تجنح الى الفخامة والجزالة، وتسترفد المعجم التراثي.

والشاعر يلقي بعض الضوء على مفاهيمه للشعر، وذلك في مقدمة ديوانه. فهو، مثلا، يرى أن «الشعر هو الكلام الموزون، المعبر عن خلجات النفس، المصور لدقائق الشعور، وصدق المعاناة... الذي يحمل رؤية معينة، يصممها ويهتديها الشاعر من خلال تناسق الألفاظ، وتجانس التعبيرات، ودلالات الكلمات الصوتية الموحية، اضافة الى عنصر الخيال، الذي لا بد منه في الشعر».

وهذا التعريف للشعر، يستكمل، أو يكاد، العناصر الاساسية للتجربة الشعرية، وزنا وتعبيرا موحيا، ووجدانا نابضا وخيالا. اما عن تجربة الشاعر، فيمكن ان نوضحها فيما يلي استنباطا من كلامه في مقدمة ديوانه:

- انه لا يعود الى القصيدة، بعد نظمها، بالمراجعة والتهذيب.
- انه لم يتخذ من الشعر فنا ينقطع له، ويختص به، ولكنه اتخذه هواية، هذا بالرغم من حبه للشعر حبا، كاد يجعل هوايته له وللأدب بعامة، تطغى على تخصصه الأصيل في علوم الشريعة الاسلامية.
- انه يستجيب لدواعي الشعر في حالين:
- ان يعجز عن مقاومته بسبب قوة الباعث في السيطرة على انحاء نفسه. والحالة الثانية أن يكون مهيأ، ذاتيا، لاستقبال هاجس الشعر وباعثه.
- ومع أن الشعر بالنسبة له هواية لا حرفة وتخصص، فانه كثيرا ما يتشاغل عنه بشتى المعاذير، حين تواتيه لحظات الالهام، وتلح عليه.
- ان للشاعر عبدالله بن ادريس تجارب من «الشعر الجديد»، على نظام «التفعيلة» لا البحر، غير أنه يقرر بأنه تخلص من كثير منه.
- ان الشاعر، في رأيه، يتجلى أكثرما يتجلى في حالتين، هما الفرح والسرور، من ناحية، والحزن والغضب، من ناحية أخرى. ويرى ان شعر «الفرح والحبور» هو القليل في شعر الأمة العربية في العصر الحديث، بسبب ما تتابع عليها من ضربات ونكبات على أيدي اعدائها، وأبنائها المنحرفين.

ولعبدالله بن ادريس، في ديوانه، قصيدة عنوانها «الشعر»، وهي حين نطالعها، نجد أن ما رود بها عن الشعر يطابق، من بعض الوجوه، ما صرح به الشاعر في المقدمة، فهو يؤكد وجوب تحقق «العاطفة» كعنصر جوهري في الابداع الشعري:

الشعر تبعثه العواطف والعواطف لن تضل
الشعر نبض مشاعر خلجاتها تحكي الشعل

وعلى نحو ما يقرر في مقدمته لديوانه، فانه في قصيدته «الشعر» يكرر الفكرة ذاتها، وهي ان الشعر يتجلى في الفرح والحزن، ولكن الحزن هو الغالب على الشعر العربي. يقول في قصيدة «الشعر»، التي منها البيتان المتقدمان:

الشعر رفــــة حالـــم
طعم الهنا منــــه استهــل
لم تفنه الدنيـــا ولـــم
يعصف به الخطب الجلل
والشعر دمعـــة بائس
ضاقت به كل السبـــل
والشعر أنّة موجـــع
قعدت به سود العلـــل
والشعر آهـــة عاثــر
غمر التعاسة بالأمـــل

ولعل البيت الأخير، بالذات، يؤكد طابع «الحزن الممزوج بالأمل» في بعض ما عرضنا له من قصائده الذاتية، وهو ما اعتبرناه، في موضع سابق، «الطابع المميز لرومانسية ابن ادريس».

وهكذا نلاحظ أن تردد افكار ابن ادريس عن الفن الشعري ما بين مقدمة ديوانه، وبعض قصائده، هذا التردد يعكس ثبات الرؤيا ووضوحها في الوقت نفسه، كما يدل على التطابق بين مثله كناقد، وابداعه كشاعر□

فعالية نظم الحوافز في العمل

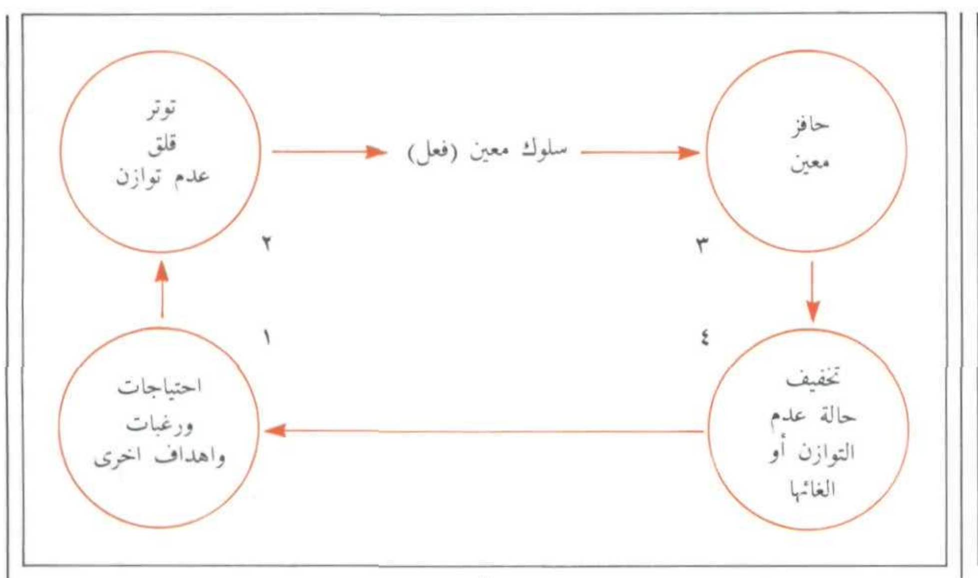
بقلم: سهيل فهد سلامة / الدمام

مقدمة:

ركزت المفاهيم الادارية التقليدية على ضرورة الاهتمام بالقدرة الانتاجية للموظف، واغفلت كافة النواحي الاجتماعية والنفسية له. وقد كان للمدارس الفكرية الحديثة والمتمثلة بمدرسة العلاقات الانسانية والمدرسة السلوكية دور كبير في تطوير وتحديث المفاهيم التقليدية ونظرتها الى العنصر البشري والتعامل معه على اساس انه انسان له مشاعر واحاسيس، ويتميز بسلوكيات معينة متأثرة بالبيئة المحيطة به. وقد رافق هذا الاختلاف في المفاهيم الاساسية اختلاف كبير في استخدام نظم الحوافز في العمل. فقد اهتمت المدرسة التقليدية بالحوافز المادية فقط لدفع العاملين نحو مزيد من الجهد والعطاء، في حين ركزت المدارس الحديثة على الحوافز المعنوية واثبتت انها أكثر فاعلية من الحوافز المادية، ومع ذلك فهي لم تقلل من أهمية الحوافز المادية في العمل.

وتستخدم الحوافز بشكل عام كوسيلة فعالة لتحقيق الاهداف بكفاءة وفعالية وذلك من خلال توجيه سلوكيات العاملين وتطوير مستوى آرائهم وزيادة انتاجيتهم ورفع الروح المعنوية لديهم وتعميق شعورهم بالانتماء للمنظمة. لذلك فان دراسة نظم الحوافز تتطلب فهما عميقا لسلوك وتصرفات العاملين وبيئتهم الاجتماعية والثقافية وتحديد احتياجاتهم ورغباتهم الضرورية. ونعتقد أنها مهمة ليست باليسيرة على المنظمة وذلك نظرا للاختلافات الفردية بين العاملين والتغير المستمر في سلوكيات الأفراد وتصرفاتهم والتي لا يحكمها سوى انطباعات ومشاعر واحاسيس الأفراد أنفسهم.

ويبقى السؤال الكبير والمطروح عمليا وهو كيفية مواجهة المنظمة وتأقلمها مع التغيرات المختلفة لتنسجم مع نظم الحوافز الموجودة، وتكون أكثر فاعلية في تحقيق اهداف المنظمة والعاملين فيها.



الحوافز: المفهوم والأهمية:

يتفق معظم الباحثين والمفكرين على مفهوم شبه موحد للحوافز. ويرون بأن الحوافز عبارة عن مجموعة من المتغيرات الخارجية في بيئة العمل أو المجتمع، والتي تستخدم من قبل المنظمة في محاولة للتأثير على رغبات واحتياجات داخلية تكمن في نفسية الفرد بهدف توجيه معين في سلوكياته وتطوير مستوى أدائه وانتاجيته.[1]

وفي بعض الحالات، ينظر الى مفهوم الحوافز ومفهوم الدوافع على انهما شيء واحد. والواقع انهما يختلفان على الرغم من وجود علاقة مباشرة بينهما. فعلى النقيض من الحوافز، تعتبر الدوافع أمرا داخليا في الانسان. وهي تعني وجود احتياجات أو رغبات معينة غير مشبعة ويسعى الانسان لاشباعها. وبالتالي فهي تفرض عليه نمطا سلوكيا معينا أو مستوى معينا من الاداء لتحقيق هذه الرغبات واشباعها.[2]

وتظهر العلاقة المباشرة بين الحوافز والدوافع من خلال تأثر سلوكيات الأفراد بدوافع واهداف معينة يسعون لتحقيقها من خلال تصرفاتهم اليومية. ويختلف الأفراد في مدى تحقيق أهدافهم واشباع رغباتهم، وبالتالي تعمل هذه الرغبات والاحتياجات غير المشبعة على اثارة نفسية الانسان وتخلق له توترا او قلقا معينا يسميه علماء النفس بحالة عدم التوازن النفسي او اختلال التوازن النفسي. وتدفع هذه الحالة النفسية غير المتوازنة عند الشخص بسلوك معين من أجل تحقيق الأهداف المرجوة وبالتالي اعادة حالة التوازن النفسي للانسان. وتتضح هذه العلاقة بالشكل أعلاه:

(١) كيث ديفز. «السلوك الانساني في العمل»، ترجمة د. سيد مرسي ود. محمد يوسف دار نهضة مصر، القاهرة: ١٩٧٤ ص ٦٣٨.

Richard M. Steers and Lyman W. Porter/(٢) Motivation and Work Behavior. 2nd ed. Mc Graw Hill Pub. Co., N.Y. 1979 P. 6/

وتهدف المنظمة من خلال استخدام الحوافز المناسبة، علاوة على تقليل التوتر والاخلال النفسي والجسدي للعاملين، الى تحقيق نتائج ايجابية معينة على مستوى المنظمة بشكل عام والعاملين بشكل خاص. ومن هذه النتائج:[3]

- رفع الروح المعنوية للعاملين من خلال تعميق الشعور بالأهمية والاحترام المتبادل واشباع الرغبات والاحتياجات.
- رفع مستوى الاداء الشخصي للموظف والذي يسهم مع تقنية العمل الموجودة في رفع مستوى انتاجية المنظمة بشكل عام.
- تحقيق الرضا الوظيفي للعاملين من خلال اشباع احتياجات عديدة من أهمها المشاركة، التقدم والترقيات والنمو الوظيفي، بيئة العمل وغيرها.
- تأثير تحقيق الرضا الوظيفي على انخفاض معدل الغياب، ودوران العاملين وانخفاض نسبة الاصابة بالعمل وارتفاع معدل الجودة ونوعية الانتاج وزيادة الامان والاستقرار الوظيفي.
- تنمية العلاقات الانسانية بين العاملين وازدياد رغبتهم واستعدادهم للتعاون والمشاركة في سبيل انجاز العمل.

وبالرغم من هذه الايجابيات، فهناك عدد من السلبيات الخاصة بنظم الحوافز والتي تخالف الصورة أو الاتجاه العام المعروف لدى البعض بأن نظم الحوافز تكون ايجابية باستمرار. ومن أهم هذه السلبيات:

- ارهاق الموظف في بعض الحالات، فقد تضطره الى تقديم اقصى قدر ممكن من الجهد اللحظي، وبالتالي فقد تظهر مضاعفات سلبية جسدية ونفسية في المستقبل.
- المنافسة غير الشريفة بين الأفراد من أجل اظهار الصورة الجميلة للاداء امام المسئولين، وبالتالي

Kae H. Chung and Leon C. Megginson.(٣) Organizational Behavior. Developing Managerial Skills. Harpa and Row Pub. Co., S.F.: 1981 PP. 136 — 138.

توتر العلاقات بين الأفراد خاصة اذا لم تكن نظم الحوافز واضحة للجميع وعادلة وموضوعية في تطبيقها.

• عبء التكاليف المرتفعة على المنظمة في بعض الحالات وخاصة الحوافز المادية. وقد تنعكس الآثار السلبية على الموظف اذا تغيرت الظروف الاقتصادية واضطرت المنظمة لسحب جزء من هذه الحوافز.

تصنيف نظم الحوافز:

لقد تناول الباحثون والمفكرون موضوع الحوافز من أربعة جوانب رئيسية هي:

• **نظم الحوافز من حيث النوع. وتشمل** (٤)

— **الحوافز المادية**: وتتمثل في كافة الأساليب النقدية المستخدمة من قبل المنظمة لتقييم وتوجيه سلوكيات العاملين وحفزهم على تنمية وتطوير أدائهم، مثل المكافآت والترقيات والبدلات وغيرها.

— **الحوافز المعنوية**: وتتمثل في كافة الأساليب المعنوية المستخدمة من قبل المنظمة لتوجيه سلوكيات العاملين وحفزهم على الاداء الأفضل، مثل خطابات الشكر والمشاركة وتوفير البيئة المناسبة للعمل والتدريب وغير ذلك.

• **نظم الحوافز من حيث النتائج. وتشمل** (٥)

— **الحوافز الايجابية**: وتتمثل في كافة الاساليب المادية والمعنوية لتعزيز وتقوية وتطوير نهج معين في سلوك الأفراد او ادائهم الوظيفي. وتسعى المنظمة من خلال استخدامها لهذه الحوافز، الى ابداء رغبتها في استمرار السلوك الايجابي الحالي ومحاولة تطويره نحو الأفضل في المستقبل.

— **الحوافز السلبية**: وتتمثل في كافة الاساليب المادية والمعنوية للحد أو تقليل نهج معين في السلوك أو الاداء الوظيفي، كاستخدام اسلوب الحسم او الانذارات والعقوبات وغيرها.

• **نظم الحوافز من حيث الفترة الزمنية. وتشمل** (٦)

— **حوافز قصيرة الأجل «وقتية»**: وتتمثل في كافة الأساليب المادية او المعنوية والتي تخدم اهداف المنظمة في توجيه وتنمية اداء الموظفين لفترة قصيرة جدا، كالعقوبات الفردية اللحظية او لفت النظر وغيرها.

— **حوافز طويلة الأجل**: وتتمثل في كافة الاساليب المعنوية او المادية والتي تخدم أهداف المنظمة في توجيه وتنمية اداء الموظفين لفترة بعيدة المدى كالترقيات وتحسين بيئة العمل وتطوير اجراءات العمل وغيرها.

(٤) Kae H. Chung. "Motivational Theories And Practice". Grid Inc., Ohio: 1977, PP. 73 — 80.

(٥) Gary Dessler. "Improving Productivity At Work". Motivating Today's Employees". Reston Pub. co., Virginia: 1983, PP. 13 — 24.

(٦) كيث ديفز. مصدر سبق ذكره. (ص ٦٤٠).

الحاجة الخامسة	تحقيق الذات
الحاجة الرابعة	التقدير والمكانة
الحاجة الثالثة	الانتماء والنشاط الاجتماعي
الحاجة الثانية	الامن والسلامة
الحاجة الأولى	الاحتياجات الفسيولوجية الاساسية الأكل والشرب والمأوى

ترتيب أسبقية الحاجات الانسانية هرم مازلو

• **نظم الحوافز من حيث المستفيدين. وتشمل** (٧):

— **نظم الحوافز الفردية**: وتتمثل في كافة الاساليب المادية او المعنوية والايجابية أو السلبية الموجهة لموظف معين دون غيره، وذلك لتصرف أو سلوك معين كالانذار، والمكافأة، والحسم وغير ذلك.

— **نظم الحوافز الجماعية**: وتتمثل في كافة الأساليب المادية او المعنوية والايجابية او السلبية والموجهة لبعض او كافة الموظفين في المنظمة كالعلاوات الدورية، والمشاركة الجماعية وغير ذلك.

وتعتبر النظم الأربعة السابقة لتصنيف نظم الحوافز من أكثر النظم انتشارا واستخداما على الرغم من توفر أسس أخرى كنظم الحوافز الحقيقية والبديلة ونظم الحوافز الضرورية والمساعدة وغيرها.

فعالية نظم الحوافز:

قد يتبادر الى ذهن أي شخص مسئول مجموعة من الاسئلة والاستفسارات التي لها علاقة مباشرة بالحوافز. وهو يهدف من ذلك حفز الافراد نحو تحقيق الأهداف واشباع رغبات واحتياجات العاملين وتوجيه السلوك الانساني. فهل من الأفضل استخدام الحوافز المادية ام المعنوية؟ وهل الايجابية ام السلبية؟ وهل الفردية ام الجماعية؟ وغيرها من الاسئلة. وحتى يكون الاداري واقعيا وموضوعيا ويحقق الفعالية من استخدام نظم الحوافز، فعليه الاعتماد على الأسس والنظريات والأبحاث العلمية التي اسهمت في توضيح دور وفعالية الحوافز في العمل. ومن هذه النظريات الهامة:

نظرية الاحتياجات الانسانية:

وضع هذه النظرية الباحث المعروف «براهام مازلو — A. Maslow»، وهي تقوم على اساس ترتيب الاحتياجات الانسانية بشكل تدريجي طبقا لاهميتها ودرجة اشباعها. ونظرا لهذا التدرج في ترتيب الاحتياجات فقد سميت أيضا بنظرية التدرج الهرمي. ويظهر ترتيب الاحتياجات الانسانية على شكل هرم كما هو واضح في الشكل اعلاه:

(٧) George Struss and Leonard R. Sayles. Personnel. "The Human Problems In Management". 4th ed. Prentice hall Inc., N.J.: 1980, PP 638 — 640.

وتتميز هذه النظرية بضرورة تسلسل الشخص من قاعدة الهرم متمثلة في اشباع الحاجات الاساسية، ثم يرتقي لاشباع الحاجات الاعلى حتى قمة الهرم. ونظرا لعدم قدرة الانسان على اشباع حاجاته المختلفة بدرجة كاملة، فانه يمكن ان يجمع اكثر من حاجة واحدة في الوقت نفسه كالاحتياجات الاساسية والاحتياجات الامنية، وبالتالي يكون اشباعه للحاجة الواحدة جزئيا وبدرجة مقبولة ومعقولة. كما اعتبر «مازلو» عدم اشباع الحاجة دافعا قويا للانسان نحو اشباعها وذلك للارتقاء الى قمة هرم الحاجات وهو في الغالب أمر صعب لا يحققه الا عدد قليل من البشر. (٨)

التعرف الى هذه النظرية يساعد الاداري. ولا شك في تحديد احتياجات الافراد المختلفة ودرجة اشباعها، وبالتالي يستطيع ان يستخدم نظم الحوافز المناسبة لاحتياجات المرؤوسين. فعلى سبيل المثال لا الحصر قد تكون فعالية الحوافز المادية لشخص غير مشبع بدرجة معقولة لاحتياجاته الاساسية، أكثر بكثير من الحوافز المعنوية. ويلاحظ في هذا المجال تأثير بعض الظروف الخارجية على اشباع الاحتياجات الانسانية لدى أفراد المجتمع بشكل عام، كتوفير الحكومة للمساكن والتعليم والخدمات الصحية والتأمينات الاجتماعية والاعانات وغيرها. وبذلك تختلف درجة اشباع الاحتياجات بين الأفراد باختلاف تطور المجتمع ومستواه المعيشي.

نظرية العاملين:

وضع هذه النظرية «فريدريك هيرزبرغ — F. Herzberg» لمعرفة اتجاهات ومواقف العاملين في العمل، ومدى رغبتهم في العمل الذي يقومون به. وقد سميت بنظرية العاملين لأن الباحث وزملاءه قسموا العوامل التي تبين اتجاهات العاملين الى عاملين رئيسيين هما:

• **عوامل التحفيز أو الدافعية:**

وتتمثل هذه العوامل بمجموعة من المتغيرات الموجودة في محتوى الوظيفة والتي تسهم في تحقيق

(٨) Kae H. Chung. "Motivational Theories and Practices". OP. Cit., PP. 40 — 43.

الرضا الوظيفي كالانجاز، والتقدم، والتطور الوظيفي وغيرها. وقد اعتبر «هيرزبرغ» هذه العوامل ضرورية، ولكن عدم وجودها بالنسبة للموظف قد لا يؤدي الى استيائه من العمل، بمعنى أن اشباعها يزيد من درجة الرضا الوظيفي للموظف.

∘ **عوامل الصيانة أو الصحية**:

وتتمثل هذه العوامل بمجموعة من المتغيرات التي تسهم في عدم تحقيق الرضا الوظيفي للموظف مثل الراتب ونوعية الاشراف، وظروف العمل المادية وغيرها. وقد اعتبر «هيرزبرغ» هذه العوامل أكثر أهمية من عوامل التحفيز أو الدافعية، وذلك لأن عدم اشباعها سيؤدي الى استياء الموظف من عمله الأمر الذي يضطره للبحث عن بديل آخر في مكان آخر[٩]. وتكمن الاستفادة من هذه النظرية في معرفة الاداري للعوامل التي تسهم في تحقيق الرضا الوظيفي او التي تؤدي الى الاستياء من العمل. وبالتالي يركز على العوامل التي تحقق الرضا الوظيفي للعاملين وتقلل من استيائهم من العمل. ويمكن ملاحظة ارتباط نظرية «هيرزبرغ» بنظرية الاحتياجات الانسانية من «مازلو»، في أن العوامل التحفيزية التي ركز عليها هيرزبرغ لتحقيق الرضا الوظيفي تأتي في أعلى الهرم الذي وضعه مازلو «تحقيق الذات، تقدير الذات والمكانة». وهي تمثل الحوافز المعنوية الضرورية لدفع الأفراد نحو الاداء الافضل. اما العوامل الصحية التي تساعد في تقليل استياء الموظف من عمله، فهي تأتي في قاعدة الهرم، وتمثل الحوافز المادية اللازمة لاستمرار الانسان في العمل والحياة.

∘ **نظرية « X,Y »**:

وضع «دوجلاس ماجروجر» في البداية نظرية (X) محاولا تفسير السلوك الانساني. وقد عبر في هذه النظرية عن وجهة نظره التشاؤمية للانسان بوصفه كسولا، انانيا، لا يتحمل المسئولية، غير طموح، ولا يحب العمل، ويجب ان يراقب ويهدد بالعقاب الى غير ذلك. ونظرا للانتقادات الشديدة التي وجهت لماجروجر على نظريته هذه، فقد قدم نظريته الجديدة (Y) وتناول فيها وجهة النظر التفاؤلية للانسان. ووصفه على النقيض تماما من نظرية (X). وبهذا اطلق على النظرية اسم (X,Y) موضحا موقفه بعد ذلك بأن بعض الناس يتميز بصفات نظرية (X) والبعض الآخر يتميز بصفات نظرية (Y)[١٠].

ان لتعرف الاداري الى هذه النظرية دورا كبيرا في تحديد الاتجاه السلوكي للموظف من ناحية محبته للعمل، وتحمله للمسئولية، ورغبته في التطوير والتحسين وغيرها. وبعد ذلك تستطيع المنظمة أن تستخدم نظم الحوافز المناسبة لهذه السلوكيات والتصرفات. فعلى سبيل المثال تكون الحوافز المعنوية أكثر فاعلية من الحوافز المادية للأفراد الذين يتميزون بصفات نظرية (Y)، وتكون الحوافز المادية أكثر فاعلية للافراد الذين يتميزون بصفات نظرية (X).

نظرية التوقعات:

وضع عالم النفس المعاصر «فروم — Vroom» هذه النظرية، بالتعاون مع باحثين آخرين هما «بورتر — Porter» و«لولير — Lawler»، بهدف توضيح ارتباط تحفيز العاملين واشباع رغباتهم واحتياجاتهم بوجود مقدرة معينة لدى الشخص وذلك من أجل الحصول على نيل مكافآت معينة. ولذلك يتوقف تحفيز العاملين على توقعاتهم بالنجاح في العمل، ولهذا السبب سميت بنظرية التوقعات، وهي تتناول ثلاثة عناصر رئيسية هي:

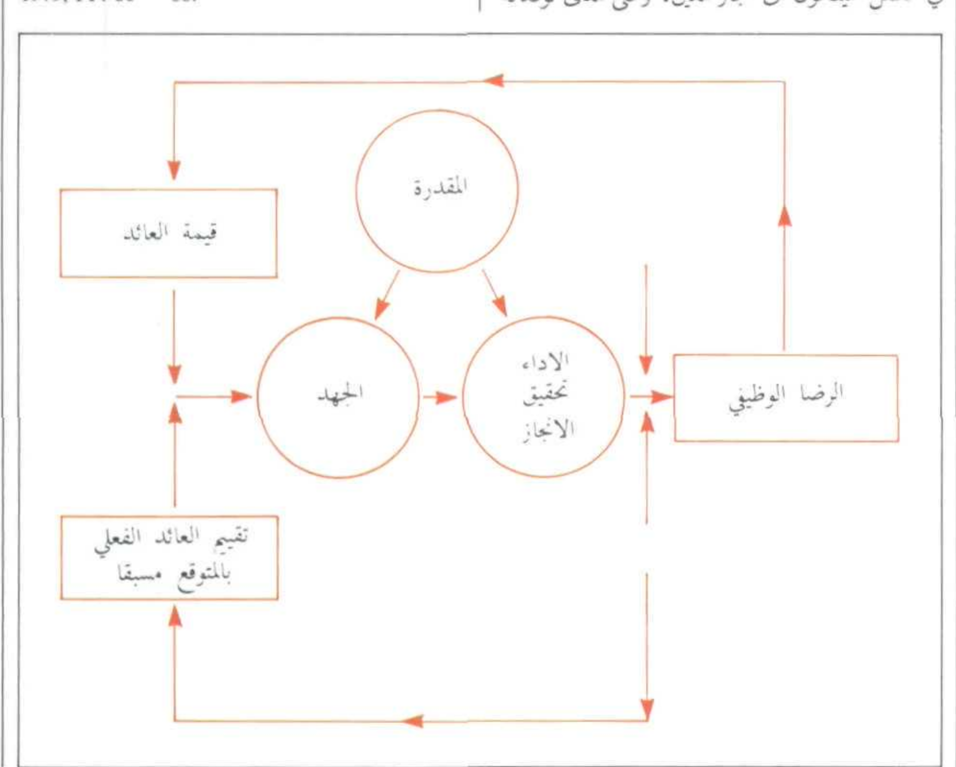
∘ **عناصر التكافؤ**: وتمثل أهمية النتائج بالنسبة للشخص وهي بالاساس المكافآت.

∘ **عناصر المساعدة «الانجاز مع الراتب»**: وتمثل مدى اعتقاد الشخص بأن هذا الانجاز سيساعد في نيله المكافآت.

∘ **عنصر التوقع**: ويمثل ادراك الموظف بمدى علاقة الجهد المبذول بمستوى الانجاز.

ولذلك يعتمد تحفيز العاملين على مدى ادراك الموظف واعتقاده بأن الجهد المبذول في العمل سيتحول الى انجاز معين، وعلى مدى توقعاته للمكافآت التي سيحصل عليها نتيجة لهذا الاداء[١١]

ويمكن توضيح هذه النظرية بالشكل التالي:



وعلى الرغم من النقد الشديد لهذه النظرية وعدم ثبات نتائجها بشكل عملي، فان فائدتها عظيمة للادارة من خلال تعرفها الى نظرة العاملين وتوقعاتهم بأهمية مستوى الاداء الأفضل كمساعد في تحقيق المكافآت. بالاضافة الى ضرورة معرفة العاملين لمفهومي المقدرة والاداء الفعال، حيث لا يكفي وجود حوافز معينة لرفع مستوى الاداء دون ان تقابلها مقدرة معينة لدى الشخص.

الخاتمـــة:

يعتبر موضوع الحوافز من المواضيع الحساسة والهامة في مجال العمل. فهناك ارتباط وثيق وتأثير كبير للحوافز على تحديد مستوى أداء الموظف وسلوكياته وتصرفاته وعلاقاته مع الآخرين داخل العمل. ولذلك ينبغي على المنظمة قبل اقدامها على اختيار أي نوع من الحوافز، من خلال دراسات علمية، الى احتياجات العاملين والوقوف على رغباتهم واهدافهم وذلك لتتناسب معها وتساهم في اشباعها.

وتهدف عادة المنظمات الى تحقيق النواحي الايجابية لنظم الحوافز، ولكن وجود سلبيات معينة مترافقة معها، يفرض على المنظمة ضرورة متابعة تقييم نظم الحوافز الموجودة والتعرف الى متغيراتها بشكل دقيق وذلك للتأكد من عدالتها وموضوعيتها ومرونة تطبيقها ودقة نتائجها واشباعها لاحتياجات العاملين ورغباتهم وزيادة فعاليتها في تحقيق أهداف المنظمة □

(٩) Fred Luthans. "Organizational Behavior". Mc Graw Hill Pub. Co., N.Y.: 1981 PP. 181 — 184.

(١٠) Richard M. Hodgetts. Modern Human Relations. The Dryden Press, Ill: 1980, PP. 55 — 58.

(١١) Gary Dessler. Human Behavior. Improving Performance At Work. Reston Pub. Co., Virginia: 1979, PP. 66 — 68.

قصة قصيرة



بقلم: أحمد محمود مبارك / القاهرة

حين اشتد عليه المرض أحسست بجذوري تهتز بشدة.. تكاد تقتلع من رسوخها في تربة الحياة. جزعت. وكيف لا؟ انه أبي وجدي. توفي والدي وأنا صغير، وتولاني هو. كان حنونا، حكيما.. عادلا. عرض على والدتي أن تتزوج متى تشاء. أبت.. كانت تحترمه وتحبه.. يتيمة كانت وبلا أهل أصبحت وجدي دنياها. وصارا دنياي. سقط فرع ثان من الشجرة العتيقة حزنت لموت أمي كنت قد كبرت واستطيع أن اتشرب الحزن. ولكن جدي عوضني عن كل فقد. كان جدي حكيم حنون. محبوب من جميع الناس. مفعم بالحيوية يتحرك في كل مكان له مجلس خاص في المقهى الشعبي الكبير. يتجمع حوله الرجال من مختلف الأعمار. ينهلون منه الحكمة والنصح والقفشات والنوادر.. حينما تخرجت من الجامعة ومضت الفرحة في عينيه وجسده بدا وكأنه قد عاد الى فتوة الأربعين هذا الذي تجاوز الخامسة والسبعين من عمره. قال وهو يقبلني:

— كان أمل والدك، رحمه الله، أن يكون استاذا بالجامعة. مات وهو معيد بها. الأمر لله. أرجو أن يتحقق الأمل على يديك.

لم تكن لدي رغبة في العمل بالجامعة. ما كنت أرغب أن يضيع عمري في البحث والدراسة. كنت أرى أن ثمة حقا كبيرا علي لهذا العملاق الحكيم.. يجب أن أعطيه من وقتي الكثير.. أمتعه بشيخوخته الشابة.. كنت قد تخرجت متفوقا وامام رغبته أصبحت معيدا بالجامعة.. عاد جدي الى شبابه يوم حصلت على «درجة الماجستير» بامتياز.. تقرر سفري الى الخارج للحصول على الدكتوراه.. فرحتي بالتفوق شابها احساس غريب. شعرت بأن القرار الصادر بسفري كمقص البستاني يريد أن يقتلع فرعي الأخضر من الشجرة الراسخة. هلعت.

— يا جدي. كيف أسافر واتركك؟

— اسمع كلامي يا حسين يا بني وسافر. والا غضبت عليك. ما زلت في أول الطريق. حقق أمل ابيك وجدك. والله معك.

«سافرت تغمرني الوحشة. ويتنازعني الحنين. صورة جدي أمامي في البلاد البعيدة وهو يمسك بعصاه التي لم يكن بحاجة

للاتكاء عليها.. كيف مرت الأعوام الثقيلة.. لست أدري.. كنت أستعين على شقائها بالله. عدت حاملا الدكتوراه —كما عاما مضى— خلت أن قرونا قد مرت.. وأنا في الطائرة قلت لا شك أن هذه الأعوام الطويلة وبعدي عن جدي قد انهكا جذوره.. اهتززت داخل الطائرة شعرت بالاختناق. وضعف النبض.. استقبلني جدي بالاحضان والبكاء. لأول مرة رأيته يبكي.. لكن جدي لم يزل قويا صلبا. حمدت الله.. وبعد أيام لاحظت أن نظام حياته قد تغير. لم يعد يخرج من المنزل. الصلاة كان يؤديها في المنزل، وكان يقرأ القرآن.. ثقلت حركته. أردت أن أسرِّي عنه.

— ألا نخرج سويا يا جدي؟

— خرجت الى كل مكان يا حسين. اخرج وتمتع انت. لا تشغل بالك بي..

— ألا تشاهد معي هذا المسلسل يا جدي..؟

— شاهدت آلاف المسلسلات يا دكتور.. لا شيء بجديد عليَّ.

قبع على نفسه.. جريت الى الدكتور بسام.. زميل العمر. لم أره الا مرات قليلة منذ أن عاد هو الآخر حاملا الدكتوراه في الطب.. استقبلني بعيادته هاشا. حدثته في الأمر.. لم أدعه يتكلم في غير ما ذهبت اليه من أجله. أجاب بلا عاطفة وهو يقدم لي سيجارة رفضتها.

— ألم تزل ترفض التدخين؟ تلعثمت قلقا — استرسل.. يا رجل كنت أظن أن جدك قد مات منذ زمن.. ماذا بك هدي من روعك..

تضايقت طوال عمره بلا عاطفة. رجعت حينئذ لصورته واحاديثه وقراءاته حين كان زميلا لي في الدراسة الثانوية.. حينما افترقنا والتحق بكلية الطب ودرست أنا الاقتصاد. لم أكن أشاهده كثيرا، قابلته في اوروبا مرات قليلة ولم يكن حديثنا يطول. كان كل منا مشغول بالدكتوراه. عادت الي صورته القديمة أيام المرحلة الثانوية. كنت أختلف معه في أشياء كثيرة وأفكار عديدة.. لكننا كنا زملاء. نجلس متجاورين. ونسكن في شارع واحد. ونركب وسيلة مواصلات واحدة.. تركته مغتاظا. وهو يقول. تحت أمرك.. دقائق وأكون معك. عند هذا الهرم العجوز.

— ماذا يا دكتور بسام؟ ما هي نتيجة التحاليل والفحوص أجاب بمنطق جامد:

— يا دكتور حسين لا تشغل بالك. انت رجل اقتصاد والاقتصاد كالطب له قوانينه ونظرياته وحتمياته.. أنت صديقي وأخي. وأنا صريح مع العملاء والذين لا أعرفهم فهل أكون غير صريح معك.. أعلم أنك عاطفي.. لكن «لا أمل.. أيام معدودة ويترك الدنيا. انها مسألة علمية بحتة. حتمية.. أمور محسوبة الحالة واضحة وفي مثل هذا العمر لا يبقى أمامه سوى أيام.. انظر لنفسك أنت. أنظر لنفسك يا أخي.. كنت أحسبك تزوجت من زمن.. ما زالت افكارك على ما هي عليه منذ المرحلة الثانوية.. صفعتني قهقهاته.. تركته غاضبا..

راجعت نفسي في الطريق. هو على حق.. الرجل تجاوز الثمانين. ومريض. بهذا المرض الخطير.. وبسام دكتور ممتاز وكان من أوائل دفعته.. لكن لم يكن من الواجب أن يحدثني هكذا.. طبيعة فيه. حاد. وقاسي..

قطعت الطريق ماشيا. تلفني برودة الخريف.. خلت أنني سأموت مع جدي.. أيؤدي الرجل كل مهامه ويرحل.. انه توقيت محكم.. سبحان الله.. قبل أن يقعده المرض بأيام قليلة. حدثني في خطبة جارتنا.

— يجب أن تتزوج يا دكتور حسين.. اتنتظر مني أن أخطبها لك. أم أنك تعتقد أنني لا أفهم. اني أقرأ منذ سنوات نظراتكما المتبادلة.. حينما كنت بالخارج كانت عينها تسألني عن أحوالك. ثم تجرأت وأصبح لسانها يسأل..

«لمحت الرجاء بعينيه. أيموت الرجل قبل أن أحقق رجاءه. قلت أمازحه».

— أتريد يا جدي أن أخطبها لتخطب أنت أمها الأرملة.؟ اهتز من الضحك وانطلق صوته قائلا وعيناه غائبتان عبر السنين.

— أنت لم تعرف جدتك يا بني.. لانك لم ترها.. انها لم تزل زوجتي. تعيش معي رغم موتها..

يا سبحان الله.. ويا لحكمته.. مرت هذه الذكريات امامي كشريط سينمائي.. وأنا عائد معه في المساء.. بعد أن أدينا معا واجب العزاء.. أحسست بيده الحانية تربت على كتفي وصوته المجهود يقول «فكر في الله يا بني. فيم أنت سارح؟ كله بأمره. أعرف انه صديقك منذ الطفولة لكنها مشيئة الله. جل شأنه.» هززت رأسي. ونعم بالله وارتفع صوتي قليلا وأنا أقول وما زالت أشباح الرؤى كضباب لم يتبدد بعد..

— من كان يتوقع يا جدي.. أن يموت الدكتور بسام هكذا فجأة وهو يعمل بعيادته □

القاضي المحدث الفقيه.. أبو بكر بن العربي

٤٦٨ - ٥٤٣هـ

بقلم: د. البشير علي حمد الترابي/المدينة المنورة

يحدثنا تاريخ الفتوحات الاسلامية أن عمرا بن العاص وصل بجيوشه الى برقة وطرابلس واستأذن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عند ذاك في فتح شمال افريقيا فلم يأذن الله وقتها فرجع ابن العاص الى مصر.[1]

ولما تولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان مقاليد الخلافة اذن لأميره على مصر في غزو الشمال الافريقي وأرسل له مددا من المدينة المنورة فيهم جماعة من الصحابة منهم عبدالله بن عباس، وعبدالله ابن عمر وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهم. وقد توالت الفتوحات ونزل في أثناء ذلك عدد من الصحابة بالشمال الافريقي وكذلك كثير من التابعين[2].

والجيوش التي فتحت آخر المواقع في المغرب الأقصى بقيادة موسى بن نصير هي الجيوش نفسها التي عبرت مضيق بحر الزقاق وفتحت الاندلس بقيادة طارق بن زياد.

وفي ضوء هذا نستطيع أن نقرر ان الحديث النبوي الشريف دخل المغرب والأندلس مع جيوش الفتح التي كان قوامها الصحابة وكبار التابعين.

فلا غرو أن ينبه شأن كثير من علماء تلك البلاد — المغرب والاندلس — وعلى مر القرون. ونحن نتحدث الآن عن أحد الاعلام من علماء فترة ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين، وهو المحدث الفقيه القاضي ابو بكر بن العربي.

أصله ومولده

هو القاضي الحافظ ابو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن احمد بن العربي المعافري الأشبيلي موطنا، المالكي مذهبا[3].

أبوه فقيه من رؤساء أشبيلية قد سمع الحديث من شيوخ الأندلس في زمانه مثل ابي محمد ابن عتاب الجذامي وأبي مروان عبدالملك بن سراج الذي توفي سنة ٤٨٩هـ.

وقد كانت لوالد ابن العربي مكانة في اشبيلية ورئاسة.

ولد ابن العربي في أشبيلية في هذه البيئة العلمية في الثاني والعشرين من شعبان سنة ٤٦٨هـ ونشأ في هذا البيت العلمي وتأدب وحفظ القرآن مبكرا وبدأ في أخذ العلم عن والده وعن شيوخ بلده.

ولما كانت الرحلة هي سنَّة سلف المحدثين وطريق خلفهم، وهي السبيل الأوفى للتزود من العلم، فقد رحل ابو بكر بن العربي لمظان العلم في زمانه وهي مراكز العلم في المشرق العربي.

رحلته إلى المشرق

رحل القاضي أبو بكر بن العربي مع والده سنة ٤٨٥هـ في ضحوة جمادى الأولى على وجه التحديد، وقدم الشام وقصد ابا بكر محمدا ابن الوليد الطرطوشي، وتفقه عنده كما لقي بالشام كثيرا من العلماء وأهل الحديث.

ولما كانت بغداد تعج حينذاك بالعلماء والمحدثين فقد قصدها ابن العربي وأخذ العلم فيها عن الأعلام. وكان أبرز من أخذ عنهم أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي[4].

ثم رحل القاضي ابو بكر الى الحج في عام تسعة وثمانين واربعمائة فحج ولقي كثيرا من العلماء في موسم الحج.

وبعد الحج رجع الى بغداد مرة أخرى مواصلا اخذه للعلم بجد لا يعرف الفتر، فأخذ عن الأئمة وعنهم قيد الحديث واتسع في الرواية واتقن مسائل الخلاف والأصول والأحكام.

---

١ — «الاستقصاء لاخبار المغرب الاقصى» لأحمد بن خالد الناصري السلاوي. طبعة القاهرة ١٣١٢هـ جـ/١ ص/٧٥.

٢ — «أصول الحديث وعلومه ومصطلحاته» للدكتور محمد عجاج الخطيب ط. دار الفكر الحديث — لبنان ١٣٨٦هـ ص/١٢٣ — ١٢٤.

٣ — «أزهار الرياض في اخبار عياض» لشهاب الدين المقري التلمساني ط. لجنة التأليف بالقاهرة ١٣٨٣هـ جـ/٣ ص/٣٢.

٤ — «الصلة في تاريخ أئمة الاندلس» لأبي القاسم خلف ابن بشكوال ط. القاهرة ١٣٧٤ جـ/٢ ص/٥٥٨. و«انظر مقدمة احكام القرآن» ط. القاهرة بتحقيق البيجاوي ص ٤.

بعد هذا قفل القاضي ابن العربي قاصدا وطنه الأندلس. وفي طريق قفوله عرَّج على مصر فدخل الاسكندرية وأقام بها وقتا عند شيخه الطوسي. فكتب عنه، كما لقي غيره من العلماء الذين استفاد منهم واستفادوا منه. وبمصر ختم ابن العربي رحلته الى المشرق ورجع الى الأندلس ودخل بلده أشبيلية بعلم غزير لم يرجع به غيره ممن رحلوا في زمانه. وهو يذكر في ثنايا كتابه «أحكام القرآن» ما استفاده في هذه الرحلة التي دامت ثمانية أعوام.

علمه وخلقه

كان ابن العربي من أهل التفنن في مختلف العلوم فقد أخذ من كل فن بطرف مع براعة فائقة في الحديث والفقه، متقدما في المعارف كلها، متكلما في مختلف أنواعها، عارفا بما عليه أهل زمانه، مشاركا في مجتمعه.

وكان ثاقب الذهن حاضر البديهة حريصا على نشر العلم وأدائه، وكان فصيحا حافظا أديبا، وشاعرا كثير الملح خفيف المجلس. وقد جمع الى سعة علمه خلقا فريدا ومعشرا طيبا، مع ثبات وكثرة احتمال. فقد حكى ابن الزبير في صلته ان القاضي ابن العربي كان في مقامه في اشبيلية ملتزما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى أصيب من جراء ذلك بذهاب كتبه وماله فأحسن الصبر على ذلك.[٥]

وقد تتلمذ على ابن العربي كثيرون ومن أبرز تلاميذه القاضي عياض بن موسى اليحصبي الذي لقيه باشبيلية ثم عند مروره بسبتة.

توليته القضاء

كان القاضي ابو بكر قد سكن بعد عودته من رحلته الى المشرق بلدة أشبيلية وجلس يسمع الناس الحديث ويدرسهم الفقه والاصول والتفسير وقام بالوعظ والتذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم ولي قضاء اشبيلية في رجب سنة ٥٢٨هـ فنفع الله به لوفور علمه وصرامته في الحق ونفوذ أحكامه.

وكان من سيرته في القضاء انه كان ذا غلظة على الظالمين والباغين. وتؤثر عنه أحكام تدل على وفور عقله وعلمه.

ولمّا صرف عن القضاء — الذي كان زاهدا فيه — أقبل على نشر العلم والتأليف فيه فأتى بالجيد من المؤلفات والتصانيف في شتى فنون المعرفة الاسلامية فابدع وأجاد.

وفاته

توفى القاضي رحمه الله تعالى في ربيع الآخرة سنة ٥٤٣هـ بالقرب من مدينة فاس ببلاد المغرب وقد حمل الى فاس ودفن بها.

٥ — «أزهار الرياض في اخبار عياض» لشهاب الدين المقري ط. لجنة التأليف جـ/٣ ص/٦٤.

وكان القاضي ابن العربي قد قدم مع أهل بلده اشبيلية في وفد الى مراكش عاصمة دولة الموحِّدين التي جاءت على انقاض دولة المرابطين وقد حبس ابن العربي ووفده في مراكش من قبل الموحِّدين لمدة عام لأمر ما. وفي طريق انصرافهم ادركت ابن العربي منيته على مقربة من مدينة فاس فحمل اليها ودفن بباب الجيسة خارج باب المحروق[٦].

وأهل فاس يعلمون هذا وقد أخبروني بأن قبر ابن العربي بباب الجيسة وذلك خلال رحلتي العلمية للمغرب في صيف ١٩٧٥م.

آثار ابن العربي العلمية ومؤلفاته

يعتبر ابن العربي من المكثرين في التأليف وذلك في جمع من فروع المعرفة. ففي تفسير القرآن له ثلاثة تفاسير. الأول: «أنوار الفجر» الذي قال عنه في كتابه القبس: انه ألفه في عشرين سنة ويقع في ثمانين ألف ورقة في ثمانين مجلدا تفرقت بأيدي الناس[٧]. والثاني: «احكام القرآن» وهو معروف مطبوع ويعتبر من مراجع تفسير آيات الاحكام المعتمدة. والثالث: «القانون في تفسير القرآن». وله في علوم القرآن «الناسخ والمنسوخ».

وفي الحديث ألف «عارضة الاحوذي» شرح به جامع الترمذي شرحا فريدا هو خير شروح هذا الجامع. وألف «القبس على موطأ الامام مالك ابن أنس»، وهو مخطوط لم يطبع بعد — حسب علمي — وقد رأيت له مخطوطات بخزانات المخطوطات بالمغرب بالخزانة الملكية والخزانة العامة بالرباط. وله شرح آخر على الموطأ اسمه «المسالك في شرح موطأ مالك». ومن مؤلفاته في الحديث «تبيين الصحيح في تعيين الذبيح»، وكتابه «المسلسلات» وتأليف آخر في اسماء الله الحسنى.

وفي الأصول والفقه ألف ابن العربي «المحصول والخلافيات» و«الكافي بان لا دليل على النافي» و«ملجئة المتفقهين»

وله غير ذلك من المصنفات منها «السباعيات» و«شرح غريب الرسالة» و«تلخيص التلخيص» و«الرد على من خالف اهل السنة من ذوي البدع والالحاد».

ومن أهم كتب ابن العربي «العواصم من القواصم» وقد طبع مرارا وهو جدير بذلك، فقد عالج فيه ما حدث بعد وفاة رسول الله، ﷺ، وما وقع بين الصحابة. عالج ذلك معالجة العالم البصير بالنقول فأفاد رحمه الله.

خاتمة

في الختام نلفت نظر المشتغلين بالدراسات الاسلامية لمؤلفات ابن العربي التي باتت حبيسة في مخطوطاته المتعددة للاهتمام باخراجها محققة. ففيها الجيد النافع من تراثنا الذي ينتظر خدمة أهل الجد والاجتهاد □

٦ — المصدر نفسه جـ/٣ ص/٦٥.
٧ — المصدر نفسه جـ/٣ ص/٨٨.



شعر: عبدالملك عبدالرحيم/ الرياض



اليها.. لحظة ان علمت أن الحريق المدمر روعها،
واتـى على كثير من اشيائهـا الثمينـة

* * *

في لحـة.. الفيتني وسط الخضـم الحارقِ
في قبضـة اللهب المسعّر.. والدخـان الخانـقِ
وتدفقت احنى المشاعر ثـرة.. في خافقـي
وسرت اليك.. تحوط وجهك.. بالحنـان الدافـقِ

* * *

في لحـةٍ.. لما علمتُ بأن مكروهـا الـمْ
عصفتْ بي الاحـزان.. واحتدمتْ اعاصير الالـمْ
وبدتْ ازاهـير الدنـى سوداء.. خرساء النغـمْ
فأنـا لوجهك ظلـه.. ما ان تجهَّـم.. او بسمْ

* * *

يا نسمة الفجـر الضحوك.. ويا ابتسامات الغـدِ
عـودي الى المرح الطهور.. ومن جديد غردي
كي تطلعي فجر المنى.. كي تسعدي.. كي تسعدي
فضياء وجهك.. بسمة المستقبل المتـوردِ

* * *

مـا وافت الظلمـات.. الا والسنا بدبورهـا
فتقبلي الدنيا.. بكل نعيمهـا.. وسعيرهـا
وترقبـي خلف امتداد الليـل.. بسمة نورهـا
وترقبي.. في غمـرة الاحزان.. فيض سرورهـا

* * *

يا جنـة الاشواق.. ان السحر باق.. ما خبـا
والفكـر.. والوجـه المغرد بالنضارة والصبـا
وجمالك الاخاذ.. يضحك.. كالخمائل في الربـى
وجميعها منح غدت — رغم الخسائر — مكسبا

* * *

اشياؤك احترقت.. ويا كـم تسترد ودائـعُ
لكن.. لأجل الشعر.. ما احترق الربيع الرائـعُ
فيك التسامـح.. والترفـع.. والحنان.. طبائعُ
فانسي فعال النار.. انت النـور.. بدر طالـعُ

من حصاد الكتب:

ديوان ترانيم الليل

شعر: محمود عارف
عرض: عبدالله أحمد الشباط / الخبر

هذا الديوان هو المجموعة الشعرية التي صدرت للشاعر محمود عارف منذ زمن، فوحدت تحت هذا العنوان وأصدرها النادي الأدبي بجدة في جزءين تربو صفحاتها على ألف وأربعمائة وستين صفحة.

أما الدواوين التي ضمها هذا المجموع فهي: «مزامير»، «الشاطىء والمرأة»، «في عيون الليل». «على مشارف الزمن»، «الروافد»، «أرج ووهج»، «مشاعر على الضفاف»، «مدينتي جدة»، «أيام من العمر». وقد رتبت هذه الدواوين لدمجها وتبويبها حسب المواضيع. ولعل القارىء يتساءل عن الحكمة في عدم دمج تلك الدواوين واخراجها في ديوان كامل مبوب.

والحكمة هنا في أن كل ديوان من هذه الدواوين خرج في فترة زمنية تختلف عن الفترة التي خرجت فيها بقية الدواوين، الى جانب ما طرأ على تلك الفترة من مستجدات سياسية واجتماعية. ثم ان كل ديوان من تلك الدواوين يحمل حقبة زمنية من حياة الشاعر تختلف عن غيرها، وهذا ما دعا الى اعادة طبع تلك الدواوين على صورتها الاصلية وحسب تقسيماتها القديمة.

ولو أردنا أن نقسم هذه الدواوين بحسب الأغراض، لصعب ذلك لأن دواوين «على مشارف الزمن» و«الشاطىء والسراة» و«في عيون الليل» لم يشملها ذلك التبويب وانما ارسلت قصائدها حسب ترتيبها الزمني.

وبالقاء نظرة على قصائد هذه الدواوين نجد الغزل وشعر الوجدان يحتل المرتبة الأولى وتمثل حوالي ١٠٠ قصيدة، ثم يليه شعر الخواطر ويمثل ٨٠ قصيدة، وبعد ذلك تأتي أشعار الوطنية والرثاء والابتهال. وتمثل قصائد كل منحى من هذه المناحي ما بين ٤٠ و٤٥ مقطوعة.

وكم كان بودي أن أقف مع القارىء عند كل ديوان على حدة لأوضح له صورة من حياة الشاعر في حقبة معينة من الزمن نظرا لأن شعره في العشرين يختلف عن شعره في الأربعين، وشعره في الأربعين يختلف عن شعره في الستين.. اذ كل فترة لها مشاعرها واحاسيسها، ونظرة الانسان فيها للأمور بمنظار يختلف عن سواها، ويكون تقديره في كل فترة نابعا من انفعالاته ومشاعره ليعبر عنها بصدق لا يشوبه التناقض ولا الاختلاف في الهدف وانما يختلف تعبيرا وتقديرا.

ففي الديوان الأول «مزامير» الذي صدر عام ١٣٧٧هـ نجد ذلك الاندفاع والتفاعل مع الثورة الجزائرية كقوله:

يا صعيد الصحـــراء مـــا العرب الا

وحـدات مـن طينـة مجبولـة

ويقول في قصيدة أخرى وديوان آخر يحث بني قومه على نبذ الكلام والاتجاه نحو الآفاق الجديدة في العالم من حولهم:

قـد سئمنا مـن الكـلام بعصـر
هـو عصـر الـفضـاء والاقـار

لكنه في ديوانه الأخير ينظر الى هذه الأمور نظرة عقلانية ليس فيها ذلك الاندفاع الشبابي فيقول في احدى قصائده:

هـدف الطامحين فـوق التحـدي
واقـع فوق شـحنـه المدفـوع
حسبنـا انـنا نعيش حيـارى
في خـداع يا وكسة المخدوع
لا نبالي بالحـق وهو مضـاع
رب حق يصـان عند الوديـع

والطريقة نفسها نجدها في شعره الوجداني الغزلي. فغزل الشباب لدى محمود عارف يحلق به بين الاجرام السماوية، ثم يعيده الى زهور الخمائل:

مـا أجـل الجمال يسبح فـي
الأضـواء حتى مواقـع الاجـرام
بين سحر مـن السكـون رهيب
وعباب مـن زحمـة الانسام
وعيون النجـوم وهي حيـارى
وخدود الزهـور وهـي نوامـي

لكنه عندما يتعدى الخمسين ينظر الى الحب والغزل نظرة فيها فلسفة وتفسير لكل شيء، فلا يندفع وراء الحبيب ولا يتوسل اليه ولا يطوف تحت شرفته بل يرى أن الجفاء مثل اللقاء. ففي الجفاء زاد الصبر وفي اللقاء ارضاء للقلب:

هكـذا الحب جفـوة ولقـاء
لا خيـار وفيهمـا متعتان
واذا عـدت للهوى زدت شوقـا
لادكـار الشباب في العنفـوان
واذا زارنـي المشيب تضـر
عت متابا للخالـق الرحمن

وكأني بلسان حال الشاعر هنا يقول:

الا ليت الشباب يعود يومـا
فـأخبره بما فـعـل المشيب

بتلك المقدمة حاولت أن أعطي القاريء فكرة عن شعر محمود عارف وتطوره مع تقدمه في السن واختلاف اسلوبه وطريقة معالجته لقضاياه حتى استطيع أن أقف به امام بعض المقاطع في نواح مختلفة من الأغراض والمعالجات الشعرية.

وشعر

محمود عارف على كثرته لا يخرج عن ذلك الشعر التقليدي الا في القليل. وهذا القليل جيد يستحق الوقوف والتأمل. وكانت العرب تسأل عن أشعر بيت أو أحسن شاعر. فاذا ذكرت له قصيدة جيدة أو بيت جيد قيل انه اشعر العرب. اذ ليس الشاعر من يقول فيكثر بل هو من يقول الشعر الجيد.. وجيد محمود عارف كثير في هذه المجموعة.

الإنســان

ومحمود عارف قبل أن يكون شاعرا فهو انسان اقتطع مساحة من الزمن تساوي ثلاثة ارباع القرن، ذاق خلالها الحلو والمر ورأى النور والظلمة، وجرب الشظف في العيش والرفاهية، وتجول في البلاد وساح خلال الديار، فأحب الحياة المليئة بالطموح:

انـا أهـوى بأن أعيش قويـا
وطموحا اهـوى جلال الـوسام
ولهـذا شـقيت بـين رفاقـي
في حـيـاة محفوفـة بـالصـدام
انا وحـدي حظيت بالسعـد
والشقو وغيري غـدا بلا اكـرام
وعلى مـا ترى اعيش مطيلا
جيرتي بين هـدأة واحتـدام

والانسان المرأة لدى محمود عارف هي الأم والأخت والزوجة والحبيبة، الا أنه عندما يريد التغزل فانه يشطح بخياله بعيدا خلف الفاتنات:

شد ما راقني ترقب غيـد
تـتحـدى السياح بالمرصـاد
وعيون الحسان نسج فخـاخ
نصبت للقلـوب للاصطيـاد
ومراعي الجمـال في كليوباترا
مـرتـع للجمـال والاخـلاد

إلا أن نظرته لم تكن تلك النظرة الشرهة المندفعة، ولا بالباكية الدامعة. بل هي نظرة تأمل واعجاب فقط. وحتى عندما يجتمع باخوته من العشاق يحدثهم حديث العاقل المتزن الذي يجد في الحب واحاديثه متعة. ولأنه يعلم أن الماضي لا يعود، فقد استبدل اللوعة بحلاوة الذكرى وطراوة الحديث:

واهل الهوى في ساحة الحب اخــوة
مشاعرهــم شفت بصقــول جوهــر
احاديثهم شتى تفيض كأنهــا
رذاذ ربيع فوق زهر معطــر
ومهما استعاد الصحب احلام غابر
فليس يعود الامس بعد التبعثر

لكن أهل الغرام احيانا يخرجون على هذه القاعدة فيندفعون دون هوادة ودون حساب لكلام الناس:

أهل الغــرام على الجراح تأنقــوا
وتــعــانقــوا جــهــرا بــدون تستر

الـــوطـــن

وللوطن عند شاعرنا، سواء منه تلك الرقعة الصغيرة التي يقيم فيها، ام ذلك الوطن العريض الذي ينتمي اليه، أو تلك الأمة التي تغلغلت جذوره في أعماقها. لذلك احتل الوطن والمدينة والأمة مساحة كبيرة من هذا الديوان.. فنراه عندما يتحدث عن «جدة» يتحدث في مناجاة ويهمس بهدوء:

يا جدتــي كم سكبت الحب بين دمــي
وفي مسارب اعراقــي واعضــادي
وكم رويت من الاحلام عاطفتــي
بسائغ طاب حلــوا في فم الصادي

ويمتد هذا العشق من شاطىء البحر الأحمر غربا الى شاطىء الخليج العربي شرقا:

مــن ساحل الغرب من أعماق مستعــر
للساحــل الشرقي للبحريــن أو قطــر
نجــوى من الحب تهديها مضمخــة
بالعطر رفافــة في روضة الزهــر
من الرياض تحيّي في مضاربكــم
أهل الخليج ومن ابهــا الى هجــر

وحب الوطن في نمو متزايد حتى يشمل الوطن العربي كله. فهو يطلب من العرب جمع الكلمة والسير نحو لقاء الأعداء:

أيهــا العــرب حــان موعدنــا
حــان أخذ الثأر مــن غير نــواح
انفــروا جمعا خفافاً للعــلا
واملأوا الدنيــا زئيرا وصيــاح

والشاعر هنا معذور، فان مشاعره نحو امته جعلته يطلب كل شيء ممكن.

ان ديوان محمود عارف «ترانيم الليل» مليء بكل الأغراض، بكل المشاعر نحو الحبيبة ونحو الأهل والأصدقاء وأبناء الوطن عامة، ومليء بمشاعر الحب نحو الوطن في فلسطين والجزائر ولبنان واغادير واليمن كما هو في جدة والرياض والاحساء.

انه يتنقل من ضفاف البحر الأحمر الى ضفاف الخليج، ومن شاطىء النيل الى شاطىء الفرات. ولا تستغرب ايها القارىء، فقد كان هذا الديوان حصاد عمر، ونتاج رحلة طويلة عبر السنين. نجد فيه اندفاع الشباب، وقوة الرجولة وعقل الكهولة. لذلك فانك ستجد فيه ما تقرأه.

أما عيبه المهم، فهو أن الشاعر خلال أكثر القصائد سلك ذلك المسلك الخطابي الذي يرجف ويرهف ويصول ويجول كأنه في ساحة قتال أو كأنه يواجه الاعداء ويدعوهم الى النزال. لذلك لا تستغرب اذا قرأت احدى قصائده ثم سمعت خلفك قعقعة الحجارة.

ومع ذلك فان هذا الديوان لم يخل من لمسات الحنان وهمسات الحب وعبارات جيدة تصل الى شغاف القلوب لكنها قليلة جدا لا تمثل اية نسبة في ذلك الديوان الضخم.

وعندما أقرأ شعر محمود عارف احس انه يخاطب شخصا بعينه. لذا فلم أكن مجبرا على سماعه. فهو لا يشدني اليه ولا يصل الى اعماقي ولا المس فيه تلك الاستجابة الملحة لرغباتي، ولا لمسة من لمسات الحنان لآمالي كانسان. بل هو يخاطب أناسا بعينهم في مناسبات خاصة. ثم انني لا أجد فيه تلك السلاسة التي تعينني على تذكر الفاظه وعباراته، وليس فيه ذلك العمق الذي سيجبر القارىء الى استنباط الغرض المقصود.

ولذلك فانني كلما قرأت شعر هذا الشاعر تذكرت قول الأصمعي عن شعر أبي العتاهية، حيث قال مرة «شعر ابي العتاهية كساحة الملوك فيه الحجارة وفيه اللؤلؤ». لكن لآلىء ابي العتاهية كثيرة بينما تقل اللآلىء عند شاعرنا الشيخ الذي جمع حصاد العمر في هذا الديوان الذي هو عبارة عن مقطوعات شعرية قيلت في أوقات خاصة وفيها الكثير من المطارحات التي املتها الظروف.

ولو ان لي من الأمر شيئا لما طبعت تلك الدواوين في هذا المجموع وانما لعمدت الى استخلاص بعض القصائد لاخراجها للناس لتكون تلك الحلية التي تزين تلك الساحة العريضة من العطاء المتواصل. لكن الأمر خرج عن ايدي الآخرين بمجرد ابراز تلك الأشعار للناس فأصبحت جزءا من التاريخ الذي لا يمكن تجاهله أو اختصار جزء منه.

ولو أنني اردت استعراض كل ما حواه هذا الشعر الضخم، والوقوف عند كل قصيدة لبيان ما فيها من مواطن القوة والضعف، لاستدعى ذلك نهرا من الكلمات التي ستحتاج الى مجلد ضخم. لا اعتقد أن بين القراء من لديه الوقت والمزاج لقراءة المزيد من احاديث النقد والتقريظ. ولعل بعضهم يجد في قراءة مقال لا تتجاوز صفحاته اصابع اليد عددا، مهمة شاقة تتطلب منه فراغ جسم وفراغ ذهن. والناس اليوم قد شغلوا بأنفسهم وبما حولهم فلا يكادون يملكون اوقاتهم. وهذا ما جعلني أقف عند هذا الكتاب هذه الوقفة العجلى لأشيد بفضل منشده ولأشيد بتكريسه الطويل عبر القلم الذي وقفه لخدمة امته ووطنه من خلال أجهزة الاعلام المختلفة. وهو كفاح يستحق التقدير والثناء □



بقلم: د. محمد أحمد العزب / القاهرة

تشيع في الفكر النقدي المعاصر —للأسف— مقولة غليظة مؤداها: ان الفكر النقدي التراثي كان فكرا تعميميا يطلق احكامه بلا تعليل يبررها، ربما لأن هذا الفكر ذاته كان غير قادر على الغوص وراء حقائق المقولات التي يطلقها. وغير قادر كذلك على الصدور عن موقف نقدي فلسفي، يربط الظاهرة بسائر ظواهر الكون. أو يصل من عوالمها الخفية الى جوهر الفعل الكامن فيها على الاطلاق..

وهذه جريمة فكرية نرددها الآن بغباء شديد، لأن الفكر النقدي التراثي لم يدرس دراسة كافية من جهة، ولأن الدراسات التي اقتربت منه كانت في مجملها دراسات تجزيئية، انصرفت عن جوهر الحكمة النقدية في هذا التراث، وهي بوحه الكلي بمجمل نظرته الى الفن والحياة، الى نوع من الانتقائية المتسرعة التي تكتفي بالنص دون سائر النصوص، وتنكفىء على مداخل القضايا دون دروبها الكثيرة وادغالها المتشابكة.

إن النقد التراثي العربي يقدم انجازات بحجم العقل الذي صدر عنه هذا النقد، ويضع في أيدينا وفي وعينا معا أن هذا النقد جدير بأن يظل ملهما لنا، وعاصما من التشتت في كل الاتجاهات بلا تركيز..

وابن سنان الخفاجي يقدم لنا في كتابه (سر الفصاحة) واحدا من هذه الانجازات الرائعة، ويتفرد باتكائه في هذا الانجاز النقدي على (منطق جدلي) يضع رؤيته النقدية من خلال (جدل صاعد) يترقى من المقدمة الى النتيجة، ويفضي من البسيط الى المعقد، وينتقل من مناقشة الجزئيات الى تأكيد الكليات. وهذا منهج متفرد في النقد العربي القديم بكامله. لأنه أعطى صورة موحية لما يمكن أن يكون عليه العقل القيادي في محاولته نقض مقولة وتأكيد مقولة أخرى. من خلال حوار عقلي يكشف يباب المقولة المنقوضة، وجدارة المقولة البديلة.

لقد درج النقد القديم عند التصدي لقضية مثل قضية (القديم والحديث) أن ينحاز الى القديم على اطلاقه تحت راية أن هذا القديم يمتلك عنصر البكارة والريادة وصفاء الهوية الخاصة... أو ينحاز الى الحديث على اطلاقه تحت راية ان هذا الحديث يمتلك عنصر الاضافة والمعاصرة وانجاب رؤية مستفيدة من رؤيات أكثر شمولية وانفتاحا... أما ابن سنان الخفاجي فقد انصرف عن مثل هذا المنهج التعميمي الى نوع من حوار العقل للعقل. والتهدي من خلال هذا الحوار الى تأكيد رؤيته، والانتصار لما يعتقد انه قضية صوابية...

والرائع بحق أن ابن سنان بدأ حواره العميق بطرح وجهات النظر المتعددة في قضية القديم والحديث.. ثم أفضى الى مناقشة كل وجهة ليخلص الى أن القديم ليس رائعا لمجرد كونه قديما، وان الحديث ليس رديئا لمجرد كونه حديثا، فالقدم والحداثة قيمتان خارجيتان (في الفن)، مع التسليم بأن لهما دورا معينا في تسديد الفن نحو غايات بذاتها، وفي تفجير نوع من الطموح الابداعي في الفن قد يتراحب هنا وقد يتقلص هناك...

وهو لا يكتفي بذلك، ولكنه يثير القضية على نحو أعمق واعرض، فهو يتصدى للقديم والحديث في الشكل. وفي المضمون، وفي الشاعر، وفي الشعر. ويرفض دائما أن يكون (العروض) هو الفيصل بين الفن ومجرد الكلام. لأن هذه النظرة المسطحة توشك أن تسلب الشعر أهم خصائصه التي يصير بها فنا قادرا على الايحاء وترميز الوجود... ومع ذلك فان ابن سنان لا يهدر جانب (العروض) في الشعر على الاطلاق. لأن الشعر — كما يرى — ايقاع أولا وأخيرا... وهكذا يفتح لنا هذا العقل التراثي طريقا الى الاروع في فهم قضية الابداع من خلال ما سنرى من حواره حول قضايا النقد والابداع على السواء!!!

ويبدأ ابن سنان — كما أسلفنا بطرح وجهات النظر المتعددة حول قضية القديم والحديث ـ ليفضي من ذلك الى تعرية جوانب القصور في كل منها، وصولا الى تأكيد فلسفته الخاصة في هذا الاتجاه.. فيقرر أن قوما من الرواة وأهل اللغة ذهبوا الى تفضيل اشعار العرب المتقدمين على شعر كافة المحدثين، واختلفوا في علة ذلك: فبعضهم يرى العلة فيه هي مجرد التقدم في الزمان.. وبعضهم يرى أن المتقدمين سبقوا الى المعاني، وفتحوا طريق الشعر، وسلك الناس فيه بعدهم.. وبعضهم يرى العلة في أن هذه الأشعار المتقدمة كانت تقع من أصحابها بالطبع من غير تكلف ولا تصنع، وان أشعار المحدثين على النقيض، فهي تتسم بكثير من التصنع وقليل من الطبع.. ولهذا استدلوا باشعار المتقدمين دون المتأخرين، كما احتاج هؤلاء الى معرفة من قال، حتى يقيموا نقدهم للشعر على هذا الاساس: قديم قائله أو محدث؟... وذهب غير هؤلاء الى أن نقد الشعر ينبغي أن يتوجه الى نعوت الألفاظ والمعاني، بصرف النظر عن قائله وتقدم زمانه أو تأخره، لأن القديم كان محدثا في حينه. والحديث سيصير قديما بعد حين، ولأن في المحدثين من هو أشعر من المتقدمين، وفي المتقدمين بالضرورة من هو أشعر من المحدثين.

ثم يتجه ابن سنان الى مناقشة سدنة القديم وفق طريقة جدلية ملزمة.. فيقول ان هؤلاء لا يملكون في تفضيل القديم الفني سوى مجرد الدعوى، وهذه يمكن أن تصادر بدعوى مقابلة. فاذا قيل أن القديم مقدم لقدمه، امكن أن يقال ان الحديث مقدم لحداثته. دون أن نلمح وجها تغليبيا يضع احدى المقولتين وحدها على مستوى الصواب النقدي... ثم يتساءل ابن سنان: وامروء القيس اين تضعوه؟ اليس في الطبقة الأولى؟ ولكن لماذا وقد كان قبله جماعة من الشعراء المعروفين، أحدهم ابن حذام؟ فان قيل: ليس امروء القيس في الطبقة الأولى بل من كان قبله أفضل منه، قيل: ان هذا خلاف المتفق عليه من جعل امرىء القيس في الطبقة الأولى.. ثم من قال بأن تواريخ الميلاد لطبقة امرىء القيس واحدة او حتى متقاربة؟ ان الاعشى مثلا لم يلحق بهؤلاء وهو بعد امرىء القيس بزمان، ومع ذلك يضعونه في طبقته.. فان قيل ان الزمان القليل لا يراعى، قيل: فخبرونا عمن بينه وبين الاعشى من الزمان مثل ما بين الاعشى وامرىء القيس، ان تداخل الطبقات سيصير هنا حتميا، وهذا خلاف ما تذهبون اليه.

ويوغل ابن سنان في توجهه الجدلي فيتساءل: لو كان أحدنا في عصر امريء القيس، هل كان رأيه في شعره مثل رأيه الآن؟ فان قال: نعم. قيل له: ولماذا.. وانت انما تفضله الآن بقدمه؟ وان قال: بل كنت اذهب فيه الى غير ما اذهب اليوم. قيل له: فهل تأليفه على غير ما كان عليه ام تغير؟ فان قال: تغير. قيل له: فهو اذن غير ما ألفه امروء القيس، وهذا ما لا يقوله احد. وان قال: هو بحاله في الأكثر. قيل له: فيجب أن يكون بحاله على صفة، ثم يصير هو بحاله على صفة أخرى من غير ان يزيد شيئا، ولا يعقل فيه غير ما يوجب ذلك، وهذا خارج عن المعقول.

والى هنا نحس بأن ابن سنان قدم لاقتناعه النقدي بمقدمات علمية ساطعة، فقد استعرض مجمل الآراء السابقة عليه في قضية القديم والحديث. وجسد انحيازها المطلق الى تمجيد القديم كأنه بداية الابداع الفني ونهايته، ثم أخذ يجادل هذه الآراء مجادلة عقلية صاعدة، ما تزال بالمقولات النقيضة حتى تحاصرها في زاوية حرجة، لتتيح من خلال ذلك لفهم ارشد واعمق. لان حركة الابداع الفني ينبغي أن تشتق لنفسها آفاقا جديدة على

الدوام، وينبغي كذلك أن نجليها نحن بحس المغامرة والكشف، حتى نجعل من الفن بحق، شهادة حضورنا الجمالي في الكون، لا أن نكتفي منه بمجرد الترديد والاحتذاء ومضغ المقولات الجاهزة...

أليس ابن سنان هنا دليلا من انصع الادلة على جدارة العقل التراثي بمزيد من الكشف والتقدير وديمومة الاستدعاء المعاصر، حتى نرى فيه وجهنا العربي الذي يراد طمسه بلا تبرير؟

وحين يفرغ ابن سنان الخفاجي من حواره النقدي العميق مع سدنة الثبوتية في الفكر الفني، ويشهر في وجوههم ضرورة الاستجابة لتعصير الابداع وتحديثه شكلا ومضمونا، وينتقل في حواره الى جدل أعمق حول طبيعة الفن ذاته بين القدم والحداثة، فيقول لمن يذهب الى تفضيل المتقدمين بسبقهم الى (المعاني): ان هذا السبق ربما يدل على فضل المتقدمين وليس على فضل شعرهم، لأن العلم بمعاني الأشياء وليس بالتعبير عنها لا يفضل احدا على أحد... ثم ما هي المعاني التي سبقوا اليها؟ هل هي جميع المعاني؟ هذا اذن جحد، لأن للمحدثين معاني لم يتناولها القدماء.. هل هي بعض المعاني! اذن فهم اما زادوا عليها، أو نقصوا منها، فهم أفضل هنا ومفضولون هناك، وان نقلوها بحالها فتلك للمتقدمين.. وهذا كله يرجع الى الشعراء وليس الى نفس الشعر..

واما (الالفاظ): فان كانوا يريدون المفرد فليست تلك لأحد، لأن المحدث فيها والمتقدم سواء.. وان كانوا يريدون المؤلفة فان المحدثين اذا اخذوا الفاظا قد ألفها ناظم قبلهم، لم يؤثر فيهم اخذهم لها حتى يقال انها في شعر الأول احسن منها في شعر الآخر، بل تكون بمنزلة قصيدة شاعر ينتحلها آخر، فلا يقال ان الانتحال اثر فيها.

وأما من ذهب الى ان (الطبع) كان متحققا في شعر المتقدمين، اما المحدثون فهم من الطبع على مسافات بعيدة، فانه قد يقال له: ما الدليل على أن اشعار المتقدمين كانت تقع من غير تكلف؟ فان قال: بهذا جاءت الروايات عنهم. قيل: الأمر بخلاف ذلك. والمروي عن زهير انه عمل سبع قصائد في سبع سنين، وكانوا يسمونها الحوليات، ويقول: خير الشعر الحولي المحكك. والرواة كلهم مجمعون على هذا غير مختلفين فيه، واذا فضلوا شعر زهير قالوا: كان يختار الالفاظ، ويجتهد في احكام الصنعة. واذا وصفوا الحطيئة شبهوا طريقته بطريقة زهير، ويروون ان زهيرا كان يعمل نصف البيت ويتعذر عليه اكماله فيتممه كعب ابنه... وهذا كله بمعزل عن الطبع وسهولة النظم، ولو لم يدل على ذلك الا قلة اشعارهم لكفى ذلك في تكلفهم الشعر ونصبهم فيه.

ثم يلجأ ابن سنان الى قلب الدليل حتى يكون أكثر اقناعا فيتساءل: اهذا التكلف ظاهر في شعر المحدثين؟ ويجيب: اذا كان غير ظاهر فلا تفضل اشعار المتقدمين على أشعار المحدثين بشيء غير موجود فيها.. وان كان ظاهرا في شعر المحدثين دون المتقدمين، فاما ان يكون في كل اشعارهم او في بعضها، فان قيل: في جميعها، فهذه مكابرة، لأن أشعار المحدثين توصف بالدماثة والتيسر.. وان قيل: في بعضها، فذلك الحكم مسحوب على أشعار القدماء والمحدثين بلا تفريق.. فكيف اذن نطلق التفضيل بلا دليل؟

ان ابن سنان هنا يضع انصار القديم — على اطلاقه — في مأزق حقيقي حين رفض من خلال جدل عقلاني فاهم ان نعطي للقديم براءة التفوق المطلق، وان ندين الحديث ليس لشيء الا لمجرد كونه حديثا.. وقد تهدى الى موقفه من خلال سياحة نقدية مع معاني الشعر والفاظه، ومن خلال صدوره عن الطبع أو التكلف، ومن خلال الاستقصاء والانتقاء..

ويستطرد ابن سنان الى توجه نقدي آخر يعزز به اقتناعه في هذا المجال، فيؤكد ان تفوق الشاعرية ليس في الوقوع على نوعية معينة من المعاني، وانما في كيفية صياغة هذه المعاني بالدرجة الأولى.. وهي نظرة نقدية متقدمة بلا جدال.

وينفي ابن سنان ان يكون الاستشهاد بشعر الاقدمين مدخلا الى تفضيلهم على المحدثين، لأن حركة التاريخ والاجتماع هي التي منحت نقاء العنصر واللغة في القديم، وهجنتها في الحديث، وليس لأن القدماء أصل في الفهم عن اللغة من المحدثين على الاطلاق..

كما أنه ينفي ان يكون للترديد في ذاته أي فضل في تقديم شعر على شعر. فذلك لا تعلق له بالنقد، لأن التأليف في هذا الترديد كسائر التأليف في الألفاظ التي لا تستحق به حمدا ولا ذما. ولا يكسبها حسنا ولا قبحا.

اما اختيار الشعر لأنه موافق للطباع، أو لأنه لم يتداول، أو لأنه سائر في الناس، أو لأجل قائله... فتلك كلها اختيارات ناهضة على الهوى، من غير دليل يعضدها، ولا حجة تنصرها...

وهكذا ننتهي مع ابن سنان الخفاجي.. الى أن قيما فكرية وفنية في تراثنا القديم، ما تزال بحاجة الى الكشف، حتى ننصف هذا التراث الحي، ونجعل من الانتماء التاريخي اليه شهادة جدارة بالاصالة والمعاصرة جميعا.. وهي غاية يعشق الكدح في سبيلها □


FOUAD HOSPITAL
مدخل المستشفى الرئيسي
HOSPITAL MAIN ENTRANCE

الطائر ذو القبعة السوداء موطنه الأصلي اوربا.
راجع مقال: هجرة الطيور.

